# الخوف في قصة سيدنا موسى - عليه السلام - في الذكر الحكيم

## دراسة بلاغيّة


إعداد الدكتور

**ياسر عبد الحميد حسين عرقوب**

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدسوق- جامعة الأزهر


**١٤٤٠هـ=٢٠١٩م**

ض

ض

**عنوان البحث:** (الخوف في قصة سيدنا موسى-عليه السلام-في الذكر الحكيم، دراسة بلاغيَّة).

**اسم الباحث:** ياسر عبد الحميد حسين عرقوب
**البريد الإليكترونى:** Yasser.arqoup@yahoo.com

**الكلمات المفتاحية:** (الخوف – قصة – موسى عليه السلام).
**التوصيف الأكاديمى:** أستاذ مساعد في البلاغة والنقد

## ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة نَصٍّ محدّد هو الخوف في قصة سيدنا موسى-عليه السلام- من الوجهة البلاغية؛ وذلك لإبراز السمات الدلالية في النص، وربطها بالمقام والسياق.

وقد حاول الباحث من خلال هذا البحث استقصاء المواضع التي ورد فيها الخوف في قصة سيدنا موسى-عليه السلام- في الذكر الحكيم، خاصة أن لفظ الخوف قد تكرر في معظم مشاهد القصة، كما أن كل أطراف القصة قد عرض لهم الخوف.

وكان لذلك أسرارعالية، ودقائق جليلة، كما أن هناك اختلافا بين حقيقة الخوف عند سيدنا موسى-عليه السلام- وبين باقي أطراف القصة.

كل هذه وغيرها أمور تحاول الدراسة الكشف عن بعضها، وتجليتها أمام القارئ الكريم.

*****

الأزهر الشريف
مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر
مركز الأزهر للترجمة
Al-Azhar Center for Translation ACT

# The Concept of *Fear* in the Story of Prophet Moses (Peace be upon him) in the Holy Qur'ān: A Rhetorical Study

**By**
**Dr. Yasser Abdel-Hamid Hussein Arqoub**
**Assistant Professor of Rhetoric and Criticism**
**Faculty of Islamic and Arabic Studies for Males in Disouq**
**Al-Azhar University**
Yasser.arqoup@yahoo.com

**Abstract**

This research aims to rhetorically study the concept of fear in the story of Prophet Moses (peace be upon him) in order to highlight the semantic features in the text, and link them to the context and the background of the story. Through this research, the researcher seeks to examine the occasions of fear in Moses' story in the Holy Qur'ān, particularly as this term has been repeated in most scenes of the story. Besides, all characters of the story have experienced some fear. This story involves significant secrets and great particulars. Moreover, the concept of fear as experienced by Prophet Moses (peace be upon him) is different from that of the other characters of the story. Among other things, the research seeks to reveal the ambiguity of the above-mentioned points to be smoothly presented to the respected reader.

**Keywords:** fear, story, Moses

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وسيد الذاكرين المطمئنين، سيدنا محمد -ﷺ -وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد،

فلا يخفى على باحثأن القصص القرآني تضمنوجوهامن إعجاز القرآن الكريم، تبقى أجيال العلماء ناهلة من فيضها مهما تعاقب الليل والنهار، ولا غرو فهو سر من أسرار القرآن الكريم، وكنز عظيم من كنوزه التي لا تخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبها.

وقصة سيدنا موسى-عليه السلام- أكبر القصص القرآني ورودا في كتاب الله- تعالى؛ فقد ذكرها المولى- سبحانه- بكل تفاصيلها منذ ولادته إلى قرب نهاية حياته-عليه السلام-.

وتفرقت حلقاتها في كثير من سور القرآن الكريم؛ مبينة ما تعرَّض له كليم الله -عليه السلام - من محن وشدائد، وكيف أن الله تعالى نجاه منها بعنايته ورعايته سبحانه، كما أنها تحمل من المعاني والدقائق والهدايات ما لا يمكن حصره؛ تثبيتا لقلب النبي- صلى الله عليه وسل-؛ لما كان يعانيه من أذى قومه.

فقد تعرَّض سيدنا موسى-عليه السلام - لمحن وابتلاءات كثيرة في حياته منذ بدايتها إلى نهايتها، وعاش صراعا طويلا مع طاغية عصره فرعون- عليه اللعنة-، فكانت كل حلقة من حلقات القصة تعرض محنة معينة تعرَّض لها، وتسلط الضوء عليها، وتبين عناية الله – تعالى-به-عليه السلام-، وتخليصه من شدته.

ولما كانت حياته-عليه السلام- سلسلة من الابتلاءات والمحن؛ اقتضى ذلك أن يتكرر الخوف في حلقاتها كلها بصورة لافتة للنظر، فكل أطراف القصة اعتراهم الخوف، فسيدنا موسى -عليه السلام- خاف في غير موضع، وأخوه هارون خاف، وكذلك أمه، وأتباع موسى أيضا خافوا، وأتباع فرعون أيضا خافوا، وفرعون نفسه خاف، فكان الخوف سمة بارزة في معظم أحداث هذه القصة، مما أغراني بدراسة هذه الظاهرة،فاستعنت بالله- تعالى- وجعلتها بعنوان: **(الخوف في قصة سيدنا موسى-عليه السلام- في الذكر الحكيم- دراسة بلاغية).**

**وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وعشرة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:**

**المقدمة:** وتضمنت الحديث عن أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، ومنهج السير في دراسته.

**التمهيد:** وتحدثت فيه عن معنى الخوف وأقسامه، والفرق بينه وبين بعض الألفاظ القريبة منه في المعنى، وحدوثه بالنسبة للأنبياء-عليهم السلام-.

**المبحث الأول:**خوف أم موسى عليه بعد ولادته.

**المبحث الثاني:**خوف سيدنا موسى -عليه السلام- بعد قتل القبطي.

**المبحث الثالث:**خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عند نداء ربه -سبحانه- له.

**المبحث الرابع:**خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عند تكليفه بالذهاب إلى فرعون وطلبه الاستعانة بهارون.

**المبحث الخامس:**خوف سيدنا موسى-عليه السلام- وأخيه هارون عند إرسالهما إلى فرعون.

**المبحث السادس**: خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عند مواجهة السحرة.

**المبحث السابع**:خوف فرعون- عليه اللعنة-.

**المبحث الثامن**:خوف مؤمن آل فرعون.

**المبحث التاسع**:خوف المؤمنين بسيدنا موسى-عليه السلام-، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول**:خوف أتباع موسى-عليه السلام- من فرعون وملئه.

**المطلب الثاني**:الخوف في مشهد الغرق.

**المبحث العاشر**: الخوف في قصة موسى-عليه السلام- مع بني إسرائيل.

**الخاتمة**: وفيها أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

وقد راعيت في ترتيب المباحث الترتيب الزمني لأحداث القصة، بادئا بالسابق لاثم اللاحق.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، فقمت بجمع الآيات التي ذكر فيها الخوف- صريحا أو مدلولا عليه- في قصة سيدنا موسى-عليه السلام-، ثم وضع الآية مع سياقها تحت مقام معين، ثم أقوم بالتحليل البلاغي، مبينا أسرار النظم وبلاغته في كل ما يدل على الخوف، ثم بما يتآزر معه من ألوان بلاغية مختلفة؛ لبيان ما تضمنه النص القرآني الكريم من معان ودقائق ودلالات.

**جدير بالذكر أني وجدت دراسة بعنوان( الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء في القرآن الكريم)**(١)، وقد اطلعت عليها، فوجدت أن الجهة منفكَّة بينها وبين ما عزمت على القيام به.

---

(١)- رسالة ماجستير للباحث/ أحمد أحمد شكم بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، سنة٢٠٠٣م.

**فأولا**: وجدت أن هذه الدراسة جاءت عامة تتناول آيات الخوف وآيات الرجاء في القرآن الكريم على العموم، أما دراستي فهي خاصة باستقراء مواضع الخوف وما يدل عليه فقط.

**وثانيا:** أن الباحث الكريم استعرض نماذج فقط لآيات الخوف في القرآن الكريم، ولم يستقص مواضعه، وقد صرَّح بذلك في مقدمة دراسته؛وبناء عليه لم يتعرض إلا لبعض المواضع الصريحة للخوف في قصة موسى -عليه السلام-، فذكر مواضع تعد على أصابع اليد؛ ومن ثَمَّ لم تستوعب دراسته مواضع الخوف كلهافي قصة سيدنا موسى -عليه السلام-.

**أما هذه الدراسة فقد قامت على** استقصاء مواضع الخوف - ما أمكن - في قصته -عليه السلام-؛فبلغت مواضعه سبعة وثلاثين موضعا تقريبا، ما كان ظاهرا معبرا عنه بلفظ الخوف صراحة، وما جاء عن طريق غير صريح دالا على الخوف. وبذلك اختلفت الدراستان.

**والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.**

**الباحث/**

د. ياسر عبد الحميد عرقوب
الأستاذ المساعد في جامعة الأزهر.

## التمهيد

**(المراد بالخوف)**

**تعريف الخوف:**

**الخوف في اللغة:** قال ابن منظور:" الخَوْفُ: الفَزَعُ، خافَه يَخَافُه خَوْفاً وخِيفَةً ومَخَافةً. قَالَ اللَّيْثُ: خَافَ يَخَافُ خَوْفاً...وَمِنْهُ التَّخْوِيفُ والإِخَافَةُ والتَّخَوُّفُ، وَالنَّعْتُ خَائِفٌ وَهُوَ الفَزِعُ"(١).

وفي القاموس المحيط: خافَ يَخافُ خَوْفاً وخَيْفاً ومَخافةً وخِيفةً، بالكسر، وأَصْلُها خِوْفَةٌ، وجَمْعُها خِيَفٌ: فَزِعَ، وهم خُوَّفٌ وخِيَّفٌ، كسُكَّرٍ وقِنَّبٍ"(٢).

**فالمادة تدور حول الفزع والتأثر الداخلي والتوتر وعدم الاستقرار.**

**وفي الاصطلاح:**"توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"(٣).

وللخوف أقسام منه الواجب ومنه الجائز ومنه المستحب ومنه المحرم ومنه المخرج من الملة.

فـ-"خوف العبادة وخوف التعظيم وهو لا يكون إلا لله وهو ما يسمى بخوف السر وهو من لوازم الألوهية، وهذا هو الخوف الواجب، وهذا

---

(١)- لسان العرب لابن منظور- خوف- (٩/ ٩٩)، نشر/ دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

(٢)- القاموس المحيط للفيروزآبادي، ت/ مكتب تحقيق التراث-مؤسسة الرسالة، (ص: ٨٠٩)، نشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣)- التعريفات للجرجاني (ص: ١٠١)، نشر/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلها فمن صرفه لغير الله فقد أشرك بالله الشرك الأكبر كأن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يصيبه بما يكره، فمن خاف مخلوقاً أن يُميته أو يضرَه أو يملك قطع رزقه ، فقد أشرك.

**ومنه:** أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفاً من ملامة وأذى الناس كأن يترك أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر أو يترك الصلاة مثلاً خوفاً من سخريتهم ، وهذا الخوف هو خوف محرم وهو شرك أصغر.

**ومنه:** خوف أولياء الله من الله-ﷻ- وهو خوف محمود وهو من مقامات الإيمان.

**ومنه:** الخوف الطبعي وهو أن يخاف الإنسان الضرر، ومما يُخاف منه عادة كأن يخاف حيواناً مفترساً أو من نار أن تحرقه أو يخاف من بحر أن يغرقه ، فهذا الخوف جائز وهو من الطبيعة البشرية ولكن قد يُذم إذا تجاوز حدَه الطبيعي فيخاف من الأمور التي لا يُخاف منها عادة وهذا نوع من الضعف والخور والوساوس فيكون مذموماً من هذه الناحية"(١).

**الفرق بين الخوف والحزن والخشية والرهبة**

عرَّف ابن فارس الحزن في اللغة فقال:" (حزن) الحاء والزاء والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه. فمن ذلك الحزن، وهو ما غلظ

(١)- ينظر: معالم الطريق إلى الله (ص: ٤٥).

من الأرض. والحزن معروف، يقال حزنني الشيء يحزنني ; وقد قالوا أحزنني. وحزانتك: أهلك ومن تتحزن له"(١).

وهو مأخوذ من" تكاثف الْغم وغلظه مَأْخُوذَة من الأَرْض الْحزن وَهُوَ الغليظ الصلب"(٢).

وعرفه الجرجاني في الاصطلاح بأنه:" عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي"(٣).

**ويفرَّق بين الخوف والحزن بأن:**" الخوف غم يحصل بسبب مكروه يتوقع حصوله في المستقبل، والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي"(٤).

**ويفرق كذلك بينه وبين الخشية بأن:** الخوف عام والخشية أخص حيث لا تكون إلا لله- تعالى- يقول صاحب مدارج السالكين:" والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة فاطر:٢٨].فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي ﷺ «إني أتقاكم لله، وأشدكم له

---

(١)-مقاييس اللغة (٢/ ٥٤)، (ح ز ن)، ت/ عبد السلام هارون، نشر/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢)-الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٦٧).

(٣)-التعريفات للجرجاني (ص: ٨٦).

(٤)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٧٩).

خشية...فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية »(١).

وذكر أبو هلال العسكري أن:" الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات، والتقصير في الطاعات.

وهو يحصل لأكثر الخلق وإن كانت مراتبه متفاوتة جدا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إلا للقليل.

والخشية: حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إلا لمن اطلع على حال الكبرياء وذاق لذة القرب"(٢).

كما أن لفظ الخشية يفسَّر في بعض المواطن بالخوف كما سيظهر من خلال البحث، ويفسر في بعضها بالعلم كما في قوله تعالى في قصة سيدنا موسى-عليه السلام- مع الخضر في سورة الكهف، حين قتل الخضر الطفل الصغير، فعلل الخضر ذلك بالخشية من إرهاق والديه وإفسادهما عندما يكبر وقد كانا مؤمنَيْن، يسجل ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾(الكهف: ٨٠ - ٨١)، فقوله: (فَخَشِينَآ) معناه: فعلمنا(٣)، فليس كل موضع يأتي فيه لفظ الخشية يفسر بالخوف وإنما يكون ذلك تبعا للسياق.

---

(١)- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٠٧).

(٢)- معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٢١٨).

(٣)-ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٢٠٤).

**ويفرَّق كذلك بينه وبين الرهبة بأن الخوف**: هو " توقع الوعيد، وهو سوط الله يقوِّم به الشاردين من بابه، ويسير بهم إلى صراطه حتى يستقيم به أمر من كان مغلوبا على رشده، ومن علامته: قصر الأمل وطول البكاء.

وأما الرهبة: فهي انصباب إلى وجهة الهرب، رهب وهرب مثل جبذ وجذب، فصاحبها يهرب أبدا لتوقع العقوبة، ومن علاماتها: حركة القلب إلى الانقباض من داخل، وهربه وإزعاجه عن انبساطه حتى إنه يكاد أن يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر"(١).

**وتدور في النفس أسئلة مفادها**: هل الأنبياء يعرض لهم الخوف؟ وهل الخوف في حقهم يعد معصية؟ وهل خوفهم مثل خوف باقي البشر أو أنه مختلف؟

ويمكن الإجابة عن السؤالين الأولين بما ذكره الإمام القرطبي-رحمه الله- في غير موضع فقال:"قد تقدم في" طه وغيرها أن الأنبياء- صلوات الله عليهم- يخافون، ردا على من قال غير ذلك، وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه "(٢)، فالخوف" قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله وأن لا فاعل إلا هو، إذ قد يسلط من شاء على من شاء"(٣)، فهم بشر ويعرض لهم ما يعرض للبشر من الأمور التي لا تنافي العصمة، وعلى هذا فالخوف في حقهم لا يعد معصية لأن" الخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم.

---

(١)- معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٢٦٢).

(٢)- تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٦٤.

(٣)السابق: (١٣/ ٩٢).

ولقد أحسن الحسن البصري -رحمه الله- حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله أنه نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء، فحال الأسد بينهم وبين الماء، فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته، فقيل له: فقد خاطرت بنفسك. فقال: لأن تختلف الأسنة في جوفي أحب إلي من أن يعلم الله أني أخاف شيئا سواه-، فقال الحسن البصري: قد خاف من كان خيرا من عامر، موسى-عليه السلام- حين قال له الرجل:﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة القصص:٢٠-٢١]، وقال ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [سورة القصص:١٨]. وقال حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم:﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة طه:٦٧-٦٨].

ومنه حفر النبي-صلى الله عليه وسلم- الخندق حول المدينة تحصينا للمسلمين وأموالهم، مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه أحد، ثم كان من أصحابه ما لا يجهله أحد من تحولهم عن منازلهم، مرة إلى الحبشة، ومرة إلى المدينة، تخوفا على أنفسهم من مشركي مكة، وهربا بدينهم أن يفتنوهم عنه بتعذيبهم.

وقد قالت أسماء بنت عميس لعمر لما قال لها:"سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلَّا، وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ،

وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ- ﷺ-، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ"(١).

وكل هذا يؤكد حدوث الخوف بالنسبة للأنبياء، ولا يعد نقصا في حقهم.

وللإجابة عن السؤال الثالث: هل خوف الأنبياء-عليهم السلام- مثل خوف باقي البشر؟

أقول: لا بد أن نفرِّق بين مرحلتين في حياة الأنبياء: مرحلة ما قبل الوحي إليهم، وهذه يعتريهم فيها ما يعتري باقي البشر من الخوف على أنفسهم وعلى حياتهم وغير ذلك مما يخاف منه باقي الناس، وذلك مثل خوف سيدنا موسى-عليه السلام- بعد قتله القبطي، وخوفه في بداية لقائه مع ربه وندائه- سبحانه- له قبل أن يكلفه بالرسالة.

والمرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الوحي إليهم، وهذه يختلف خوفهم فيها عن خوف باقي الناس، فخوفهم في الحقيقة حينئذ هو ألا تُبلَّغ كلمة الله إلى الناس على الوجه الذي يريده- سبحانه-؛ وذلك كخوف سيدنا موسى- عليه السلام- عند مواجهة السحرة، وخوفه هو وهارون- عليهما السلام- عند تكليفهم بالذهاب إلى فرعون ودعوته، وغير ذلك.

يؤكد هذا طلب سيدنا موسى-عليه السلام- من ربه-عز وجل- الاستعانة بأخيه هارون عند أمره بالذهاب إلى فرعون- كما سيتضح من خلال البحث-إن

---

(١)- تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٢). والحديث بتمامه أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة- رضي الله عنهم-، باب: من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم-رضي الله عنهم-،ح(٢٥٠٣)، ١٩٤٦/٤٠.

شاء الله – تعالى-؛ فلو كان خوفه على نفسه لأبعد أخاه عن مثل هذه المواجهة، خاصة وأن فرعون طاغية متجبر لا يتورع عن قتلهما معا، بل قتل كل من يرى فيه تهديدا لطغيانه وتجبره.

هذا فضلا عن أن الله- تعالى- ضمن لأوليائه أن لا يحصل لهم ما يخافونه وأن لا يحل بهم ما يحزنهم كما في قوله تعالى:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(يونس: ٦٢)، فما بالك بمن هم أعلى منهم وهم الأنبياء-عليهم السلام-. يؤيد ذلك ماذكره الطاهر بن عاشور-رحمه الله- في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾(الشعراء: ١٤)، حيث قال:" وقوله: فأخاف أن يقتلون ليس هلعا وفرقا من الموت فإنه لما أصبح في مقام الرسالة ما كان بالذي يبالي أن يموت في سبيل الله، ولكنه خشي العائق منإتمام ما عهد إليه مما فيه له ثواب جزيل ودرجة عليا"(١)،نخوف الرسل في هذه الحالة يختلفعن خوف باقي البشر. والله أعلم.

**********

(١)- التحرير والتنوير (١٩/ ١٠٧).

## المبحث الأول

## خوف أم موسى عليه بعد ولادته

**تقديم:**

من أول المشاهد التي ذكر فيها الخوف ما حدث لموسى-عليه السلام- بعد ولادته في العام الذي كان فيه فرعون-عليه اللعنة- يقتل كل مولود ذكر بعد أن أخبره كهنته بأنه يولد في هذا العام طفل تكون نهايته على يديه، لكن عناية الله- تعالى- لم تتخل عن موسى-عليه السلام- منذ البداية؛ فيوحي المولى- سبحانه- إلى أمه أن ترضعه، فإذا خافت عليه فلتلقه في البحر وسيرده الله إليها رضيعا، وسيكون نبيًّا له شأن حين يصير كبيرا.

وقد ذُكر هذا المشهد في سورتي القصص" ٧-١٣" وطه" ٣٧-٤١"، ولكن سورة طه لم يُذكر فيها لفظ الخوف؛ لذلك ستقتصر الدراسة على ما جاء في سورة القصص على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾(القصص:٧ -١٣).

والآيات من سورة القصص، وهي تستعرض سلسلة حلقات منقصة سيدنا موسى-عليه السلام- منذ ولادته، وتبدأ هذه السلسلة بقصة خوف أمه عليه بعد ولادته، فتذكر هذه الآيات قصة سيدنا موسى – عليه السلام- بعد ولادته، وخوف أمه الشديد عليه من بطش الجبار فرعون؛ لأن الكهنة أخبروه بأنه يولد في بني إسرائيل طفل تكون نهاية فرعون على يديه، فكان يقتل كل مولود، وأوحي الله-تعالى- أليها بإلقائه في اليم، وتطمينها بأنه- تعالى- سيتعهده برعايته، وسيكون له شأن عظيم(١)، فتفعل أمه ما أمرت به ويأخذه الطاغية ويربيه في بيته، ويتحقق وعد الله لها بعودته رضيعا إليها، ثم يكون نبيا له شأن كما وعدها- سبحانه-.

وسياق الآيات سياق قصصي يعتمد الأسلوب الخبري، كما يعتمد طريقة السرد المناسب لأسلوب القصص.

(١)- اختلف المفسرون حول كيفية الوحي إلى أُمّ مُوسى فقالت فرقة: كان قولا في منامها، وقال قتادة: كان إلهاما، وقالت فرقة: كان بملك تمثل لها وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية، وإنما إرسال الملك لها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص في الحديث المشهور، وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وجملة أمر أم موسى أنها علمت أن الذي وقع في نفسها هو من عند الله ووعد منه، يقتضي ذلك قوله تعالى بعد: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[القصص: ١٣] وهذا معنى قوله لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [القصص: ١٠] أي بالوعد. ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٢٧٦، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٢٥٠.

والآيات يسيطر عليها جو الخوف على الرغم من العناية الإلهية، والتطمين المتكرر من المولى- سبحانه- لأم موسى، إلا أن الخوف يتملكها، والرعب ينسيها كل شيء فيُفرِغ قلبها.

**وقد تكرر الخوف في الآيات ثلاث مرات، فورد صريحا في موضعين، ومكنيا عنه في موضع وذلك على النحو الآتي:**

**الأول:** قوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ والمراد: إذا خفت عليه القتل فألقيه في اليم(١)، ويعينه أن الخوف عليه من أي شيء كالمرض مثلا لا يستدعي الإلقاء في اليم.والتعبير بإذا الشرطية (وهي تفيد تحقق ما بعدها) إشارة إلى أم موسى أن ترضعه مدة، فإذا كبر وعلا صوته وخافت من افتضاح أمره، وتحققت من ذلك يقينا فلتلقه في اليم" وذلك ليكون إلقاؤه في اليم عند الضرورة دفعا للضر المحقق بالضر المشكوك فيه ثم ألقي في يقينها بأنه لا بأس عليه"(٢).

**والعطف بالفاء** للدلالة على السرعة وأنها بمجرد أن يتحقق خوفها تسرع إلى إلقائه في اليم.وإيراده في سياق الشرط والجواب تأكيد له.

**واليم:** البحر والنهر العظيم، والمقصود به هنا نهر النيل، فأل فيه للعهد.

**وإيثار التعبير باليم** وهو" البحرُ الَّذِي لَا يُدْرَكُ قَعْرُه وَلَا شَطَّاه"(٣) دون البحر أو النهر لإبراز القدرة الإلهية والعناية الربانية في حفظ موسى-عليه السلام- وإظهار الامتنان عليه؛ فاليم مظنة الهلاك والفناء يكون طريقا للنجاة

---

(١)- ينظر: تفسير الطبري: ٩/ ٥٢٠.

(٢)- التحرير والتنوير: ٢٠/ ٧٤.

(٣)-لسان العرب - يمم- (١٢/ ٦٤٧).

والبقاء!، وقد كان هذا موضع امتنان من الله- تعالى- على سيدنا موسى -عليه السلام- في قوله تعالى في سورة طه:﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾(طه: ٣٧ – ٤٠).

**وعبر سبحانه في سورة طه بالقذف﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾** وعبر هنا بالإلقاء﴿ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾؛ لأن الآيات في سورة طه تتحدث عن وقت التنفيذ فيلزمها السرعة التي يدل عليها التعبير بالقذف،والقذف إلقاء بقوة، لا أنْ تضعه بحنان ورفق؛ لأن عناية الله ستحفظه على أي حال، والأم لا تقذف وليدها، بل تضعه بحنان وشفقة، لكن الوقت ضيّق لا يتسع لممارسة الحنان والشفقة.أما هنا فالآيات تتحدث عن الإعداد والتمهيد لأمر سيقع مستقبلا فكان المناسب له التعبير بالإلقاء الذي يدل على الهدوء بعض الشيء(١).

ويلحظ هنا أن البحر كان سبيلا لنجاة موسى في صغره عند الأمر بإلقائه فيه، وكان نجاة له في كبره، وهلاكا لعدوه فرعون وأتباعه، فسبحان من يجعل الشيء وضده متحققا في شيء واحد حسب إرادته- جل وعلا.

**الثاني:** قوله تعالى:﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي، لا تخافي عليه من الغرق ولا تحزني ألا يُرد إليك.

(١)- ينظر: تفسير الشعراوي: ٣/ ١٨٨٨، و١٥/ ٤٢٦٧، ١٧/ ١٠٨٨٣ بتصرف.

وفصل بين فعلي النهي وجملة: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [سورة القصص:٧] لكمال الانقطاع، والتعبير بـ(نا) العظمة في (أوحينا) و(إنا)، وبالجمع في (إنا رادوه - وجاعلوه) لزيادة تطمين أمه عليها السلام، يقول الزمخشري:" فإن قلت: ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر؟ قلت: أما الأوّل فالخوف عليه من القتل، لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينمّوا عليه. وأما الثاني، فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان، وغير ذلك من المخاوف.

**فإن قلت:**ما الفرق بين الخوف والحزن؟ قلت: الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع. والحزن: غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به، فنهيت عنهما جميعا، وأومنت بالوحي إليها، ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها،ويملؤها غبطة وسرورا: وهو ردّه إليها وجعله من المرسلين"(١)، فالمعنى كما ذكر الطيبي" كأنه قيل: ولا تخافي مِن هلاكِه، ولا تحزني بسببِ فِراقِه، فإنّا رادُّوه إليكِ لتكوني أنتِ المرضِعة له، وجاعلوه مِنَ المرسلينَ إلى أهلِ مصرَ والشام"(٢).

ولعل من أسرار مجيء النهي عن الخوف والحزن﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾بعد قوله تعالى﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ما في الأمر بإلقائه في البحر

(١)- الكشاف للزمخشري: ٣/ ٣٩٣.

(٢)- حاشية الطيبي على الكشاف: ١١/١٢، ت/د/ جميل بني عطا، نشر/ جائزة دبي الولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ق/ ٢٠١٣م.

عند الخوف عليه من غرابة ودهشة لا يستوعبها العقل البشري، إذ كيف يخاف الإنسان على شيء فيلقيه فيما فيه هلاكه؟! إنها في هذه الحالة كمن يستجير من الرمضاء بالنار؛ لذلك عقب بالنهي عن الخوف والحزن لتطمينها، وإرخاء ستر الأمان على هذا القلب الخائف المرتعد في كل الأحوال- الماضي والحاضر والمستقبل-.

ولم يكتف النظم الحكيم بالنهي المجرد لتطمينها، وإنما عقبه بالجملتين﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾لتعليل النَّهي عن الخوف والحزنِ؛ زيادة في بث الطمأنينة في قلبها،"وكأن الحق- سبحانه- يوضح لأم موسى أن ابنها لن يعيش من أجلها فقط، بل إن له مهمة أخرى في الحياة فسيكون رسولاً من الله. فإذا لم تكن السماء ستحافظ عليه لأجل خاطر الأم وعواطفها، فإن السماء ستحفظه لأن له مهمة أساسية بالجملتين﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾"(١)،وجاء هذا التعليل مؤكدا بـ"إنَّ" واسمية الجملة للاعتناء بتحقيق مضمونِهما، أي إنَّا فاعلونَ لردِّه وجعلِه من المُرسلينَ لا محالةَ، وهذا التأكيد متناسب مع حالة أم موسى وخوفها الشديد عليه.

**الثالث:** قوله تعالى:﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ذكر معظم المفسرين أن معناه: فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى والوجد عليه(٢)، وذكر الطبري: أن هناك قراءة" فازعا" من الفزع(٣)، وفسرها الزمخشري:"فارِغاً صفرا من العقل. والمعنى: أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها

(١)- تفسير الشعراوي: ٧/ ٤٢٩٧.

(٢)- ينظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٥٢٧، وتفسير السمعاني: ٤/ ١٢٤.

(٣)- تفسير الطبري: ١٩/ ٥٢٧.

لما دهمها من فرط الجزع والدهش ...يعنى: بطل قلبها وذهب، وبقيت لا قلب لها من شدّة ما ورد عليها"(١)، وذكر ابن عطية أن ابن عباس قرأ «قرعا» بالقاف والراء من القارعة وهي الهم العظيم(٢)،وذكر الرازي قول أبي مسلم: فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة إبراهيم:٤٣] (٣)،وذكر أبو حيان" أي صار فارغا من العقل، وذلك حين بلغها أنه وقع في يد فرعون، فدهمها أمر مثله لا يثبت معه العقل، لا سيما عقل امرأة خافت على ولدها حتى طرحته في اليم، رجاء نجاته من الذبح هذا مع الوحي إليها أن الله يرده إليها ويجعله رسولا، ومع ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم، ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله"(٤)، وكل هذه التفسيرات لفراغ الفؤاد لا تبعد عن معنى الخوف؛ وعلى ذلك يكون ذكر فراغ فؤاد أم موسى كناية عن الخوف الرهيب الذي تملكها حين أخبرت بأن ابنها وقع في يد فرعون عدوها.

وذكر المفسرون دلالتين للتعبير بالإصباح (وَأَصْبَحَ)، فذكر أبو حيان أنه:" عبارة عن دوام الحال واستقرارها وهي كظل، ومنه قول أبي سفيان

(١)- الكشاف: ٣/ ٣٩٥.
(٢)- المحرر الوجيز: ٤/ ٢٧٨.
(٣)- مفاتيح الغيب للرازي: ٢٤/ ٥٨١.
(٤)- البحر المحيط: ٨/ ٢٨٩. وذكر بعض المفسرين رأيا ضعفه كثير منهم وهو أن " فارغا" معناه:

للعباس يوم الفتح: لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما يريد استقرت حاله عظيما(١).

وذكر العز بن عبد السلام" أنها ألقته ليلاً فأصبح فؤادها فارغاً، أو ألقته نهاراً فيكون أصبح يعني صار"(٢).

ويبدو لي- إضافة لما سبق- أن في التعبير بالإصباح وما يدل عليه من وضوح وظهور إشارة إلى وضوح الخوف والحزن وقوة ظهورهما على أم موسى بعد إلقائه في البحر حتى كادت أن تصرح بأنه ابنها؛ فكان التعبير به مناسبا لحالها وما هي عليه من خوف شديد.كما أنه يدل أيضا على ملازمة الخوف لها، وأنها دائمة الخوف في كل أوقاتها كما تقول: أصبح زيد عالما"(٣) . والله أعلم.

*****

والتعبير بالفؤاددون القلب لما يحمله من همٍّ في هذا الوقت، ولما يفيض به من حزن على وليدها، فـ" لا يُسمى القلب فؤاداً إلا إذا كانت فيه قضايا تحكم حركته، فالمعنى: أصبح فؤاد أم موسى {فَارِغاً}، أي: لا شيء فيه مما

---

فارغاً من الهمّ والحُزن لوثوقِها بوعدِ الله تعالى أو لسماعِها أنَّ فرعونَ عطفَ عليه وتبناه، ولا يخفى ما فيه من بعد بدلالة تعقيبه بقوله"﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/٧. والتحرير والتنوير: ٢٠/ ٨٠، وأغلظ الشوكاني فقال: وقول من قال فارغا من الغم غلط قبيح؛ لأن بعده ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [سورة القصص:١٠]». ينظر: فتح القدير للشوكاني: ٤/ ١٨٥.

(١)- البحر المحيط:٢٨٩/٨.

(٢)- تفسير العز بن عبد السلام: ٢/ ٤٨١.

(٣)- ينظر المحرر الوجيز: ٤/ ٢٨١.

يضبط السلوك، فحين ذهبتْ لترمي بالطفل وتذكرت فراقه وما سيتعرض له من أخطار كادت مشاعر الأمومة عندها أن تكشف سِرَّها، وكادت أنْ تسرقها هذه العاطفة"(١)، فامتلأ قلبها هما وحزنا بأكبر القضايا عندها وهي الخوف على وليدها الناشئ، وما سيلاقيه من أخطار.

**وبتأمل هذا الموضع يلحظ أن**: التعبير عن الخوف هنا قد اختلف عن الموضعين الأولين؛ حيث جاء لفظ الخوف فيهما صراحة، أما هنا فقد جاء على الكناية، وقد ناسب كل منهم مقامه؛ فالموضعان الأوَّلان كانا في بداية القصة في سياق إخبار الله- تعالى- لها أن تلقيه في اليم عند الخوف عليه، وتطمينها بعودته إليها وتشريفه بالرسالة، فلم يكن الإلقاء قد حدث بعد فكانت أسباب الخوف متوقعة فناسبها التعبير باللفظ الصريح، ولذلك ذكر الطاهر بن عاشور أن" النهي عن الخوف وعن الحزن نهي عن سببيهما وهما توقع المكروه والتفكر في وحشة الفراق"(٢).

أما في الموضع الثالث فقد حدث الإلقاء في اليم، ووقع ما خافت منه، حيث وقع في يد عدوه، فطاش عقلها، وذهب لبها، وأصابها الهلع الشديد خوفا على ابنها، فناسب ذلك التعبير بالكناية( فراغ الفؤاد) لأنها أبلغ وأقوى في الدلالة على الخوف، فالعرب تطلق على من أصابه الخوف الشديد، وطغت عليه أمارات القلق، طار عقله وانخلع فؤاده ونحو ذلك؛ فكان التعبير الكنائي هنا مناسبا تماما لحال أم موسى بعدما وقع ما كانت تحذره.

**وبنظرة عامة في سياق هذه القصة يلحظ المتلقي أمورا كثيرة منها:**

---

(١)- تفسير الشعراوي: ١٧/ ١٠٨٩٠، ١٠٨٩١.

(٢)- التحرير والتنوير: ٢٠/ ٧٥.

• غلب على أسلوب القصة الطابع الخبري المناسب لطريقة السرد القصصي، فجاءت معظم الجمل خبرية تناسب مقام الحكاية، كذلك جاءت معظم الأفعال ماضية مناسبة لأسلوب السرد القصصي حيث إنه سرد لأحداث قصة حدثت ومضى زمانها؛ فناسبها أن تكثر الأفعال الماضية دلالة على تحقق وقوع أحداثها.

• تناسب مع مقام الخوف الذي جاءت عليه الآيات الإيجاز بحذف الجمل كثيرا في هذا السياق؛ ولا يخفى شيوع هذا النوع من الحذف (حذف الجمل) في القصص القرآني؛ لما فيه من تناسب مع دلالة الحال، حيث إن الجمل المحذوفة في القصص عامة تكون معروفة فلا فائدة من ذكرها حتى لا تطول القصص وتتوه أحداثها، وتخلو من الحبكة التي تجذب السامع وتجعله يتابع عن كثب أحداثها.

• يلحظ المتلقي كذلك تكرار العطف بالفاء في هذا السياق كثيرا؛ وذلك لما تدل عليه من ترتيب وتعقيب يشير إلى تتابع أحداث القصة وتعاقبها وسرعتها، فبمجرد خوف أم موسى عليه تلقيه في اليم فيلتقطه آل فرعون مباشرة ثم حدث ما حدث من نقاش بين فرعون وامرأته في شأن موسى ثم البحث عن مرضعة له فلم يقبل ثم يعود سريعا إلى أمه لترضعه؛ فتقر عينها به ويتحقق وعد الله لها، فالأحداث متتابعة تتناسب مع المقام، وتبرز رحمة الله- تعالى- بهذه الأم المرتعدة الخائفة، وأن الله تعالى لم يشأ أن يطول الوقت عليها وهي في هذه الحالة؛ رحمة منه- سبحانه- ورأفة بها.

• من مناسبات القصة كذلك ما اشتملت عليه من حركة بدت من خلال أحداثها المتتابعة؛ وكأن هذه الحركة جاءت لتؤكد أن أطراف القصة

جميعهم (أم موسى وأخته وامرأة فرعون وغيرهم) تحركوا وكان لكل منهم دور في أحداثها لتنفيذ مراد الله- تعالى- فيها.

ومن مواطن الخوف المكنى عنه هنا أيضا: ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ ﴾ [القصص: ١١]، إنها محاولة اطمئنان مبعثها الخوف على الابن، ثم التعبير عما فعلته الأخت بـ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص: ١١]، فلدى الأخت أيضا خوف جلَّله فرط الحذر.

******

ض

## المبحث الثاني

## خوف موسى -عليه السلام- بعد قتل القبطي

**توطئة:**

من أشد المحن التي تعرَّض لها سيدنا موسى-عليه السلام- محنة قتل القبطي عندما استغاث بموسى-عليه السلام- رجل من بني إسرائيل، فوكز القبطيَّ غير متعمد قتله؛ مما جعل فرعون وملأه يجمعون رأيهم على قتله؛ فيخاف سيدنا موسى-عليه السلام- ويخرج من مدينتهم خائفا متخفيا، ويذهب إلى مدين حيث نبي الله شعيب- على أرجح الأقوال- فيطمئنه ويزوجه ابنته.

كل ذلك تحدثت عنه سورة القصص حديثا مستفيضا على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى

حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾(القصص: ١٥- ٢٥).

تتحدث هذه الآيات عن محنة من المحن التي تعرض لها سيدنا موسى- عليه السلام- حينما استغاث به رجل من قومه بني إسرائيل على رجل آخر قبطي؛ فقتل سيدُنا موسى القبطيَّ، ولم يكن يتعمد قتله، وندم على ذلك، واعترف بذنبه، وخرج خائفا بعدما أُخبر بأن الملأ تآمروا على قتله، والانتقام منه، فيتوجه إلى مدين ليذهب في النهاية إلى سيدنا شعيب-عليه السلام- بعدما سقى لبناته، فيطمئنه شعيب-عليه السلام- ويزوجه ابنته.

وكان الخوف في هذه الآيات أحد الظواهر البارزة المصورة للمعنى، وقد تكرر الخوف عدة مرات في هذا المقام، واستغرق الآيات من أولها إلى نهايتها، وكان منه ما هو على سبيل التصريح وما هو على سبيل الكناية، حيث ورد في عدة مواضع:

**الأول- قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾**أي: " نصف النهار وهم قائلون، أو بين المغرب والعشاء، أو يوم عيد لهم وهم في لهوهم"(١)، وهذه الجملة كناية عن خوفه حين دخل مدينة عدوه فرعون بعد أن غاب عنها فترة طويلة، فلو لم يكن خائفا لدخلها جهارا نهارا، فقد جرت العادة أن من يخاف شخصا أو قوما يتحيَّن وقت غفلتهم حين يريد أن

(١)- تفسير العز بن عبد السلام: ٢/ ٤٨٣.

يأتي إليهم، أو يقترب منهم، يؤيد ذلك ما ذكره الزمخشري-رحمه الله-أن موسى-عليه السلام-:" لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم، فأخافوه، فلا يدخل قرية إلا على تغفل"(١).

وذكر الإمام الرازي-رحمه الله-:" أن موسى-عليه السلام- لما بلغ أشده واستوى وآتاه الله الحكم والعلم في دينه ودين آبائه، علم أن فرعون وقومه على الباطل، فتكلم بالحق وعاب دينهم، واشتهر ذلك منه حتى آل الأمر إلى أن أخافوه وخافهم، وكان له من بني إسرائيل شيعة يقتدون به ويسمعون منه، وبلغ في الخوف بحيث ما كان يدخل مدينة فرعون إلا خائفا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها"(٢)، وساعد على إبراز شدة خوفه التعبير بعلى الدالة على الاستعلاء والتمكن، أي أنه ترقب وقتا تمكنت فيه الغفلة منهم؛

(١)- الكشاف:٣/ ٣٩٨، والبحر المحيط: ٨/ ٢٩٢.

(٢)- مفاتيح الغيب للرازي: ٢٤/ ٥٨٤. وذكر الرازي أيضا في تفسير دخوله على غفلة: إن موسى عليه السلام حين كبر كان يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، ويدعى موسى ابن فرعون، فركب يوما في أثره فأدركه المقيل في موضع، فدخلها نصف النهار، وقد خلت الطرق، فهو قوله: على حين غفلة القول الثالث: قال ابن زيد:ليس المراد من قوله: على حين غفلة من أهلها حصول الغفلة في تلك الساعة، بل المراد الغفلة من ذكر موسى وأمره، فإن موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته، فأراد فرعون قتله، فجيء بجمر فأخذه وطرحه في فيه، فمنه عقدة لسانه، فقال فرعون: لا أقتله، ولكن أخرجوه عن الدار والبلد، فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر، والقوم نسوا ذكره وذلك قوله: على حين غفلة. ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٤/ ٥٨٤. وينظر: تفسير القرطبي: ١٣/ ٢٥٩.

حتى لا يراه أحد ؛ مما يؤكد شدة خوفه، وتآزر معه التعبير بلفظ الحين الذي يومئ إلى أنه كان يتحين وقت غفلتهم حتى لا يراه أحد.

**الثاني**- قوله تعالى:﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ والمعنى: فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها، وقتله القبطي الذي قتله أن يؤخذ فيقتل به، وذلك بعد أن استغاث به رجل من بني إسرائيل قومه على رجل قبطي اختلف معه، فوكزه موسى غير متعمد قتله فمات، فقد ذُكر" أن موسى حين قتل ذلك الرجل لم يره أحد، ودفن الرجل في الرمل، وروي أن قومه وجدوه قتيلا، فجاءوا إلى فرعون وذكروا له ذلك، فقال: اطلبوا قاتله لأقيده به، فجعلوا يطلبونه وموسى يخاف"(١).

ومجيء الخوف في صورة الحال﴿ خَآئِفًا ﴾دلالة على ملازمة الخوف له، وعدم انفكاكه عنه(٢)، ولم يكتف النظم القرآني في إبراز حالة سيدنا موسى-عليه السلام- بحال واحدة وإنما أُردفت هذه الحال بجملة حالية ثانية لتأكيد خوفه، وهي قوله:﴿يَتَرَقَّبُ ﴾ ومعناها هنا: يترقب الأخبار، أي، ينتظر ما الذي يتحدث به الناس، وما هم صانعون في أمره وأمر قتيله(٣)، وذكر الماوردي من معانيها أنه: يتلفت من الخوف(٤).

---

(١)- تفسير السمعاني: ٤/١٢٩.

(٢)- في توجيه نصب " خائفا" وجهان:أحدهما: أنه منصوب على أنه خبر أصبح، والثاني: أنه منصوب على الحال، ويكون الظرف في موضع الخبر. ينظر: إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين درويش: ٧/ ٢٩٤.

(٣)- ينظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٥٤٢.

(٤)- تفسير الماوردي، النكت والعيون: ٢٤٣.

وذكر الإمام القشيري أنه كان﴿خَآئِفًا﴾ من الله مما جرى منه. ويقال﴿خَآئِفًا﴾على قومه حلول العذاب بهم. وقيل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾نصرة الله إياه. ويقال ﴿يَتَرَقَّبُ﴾مؤنسا يأنس به(١)، وفسرها الإمام الشعراوي بأنه أصبح" ينظر في وجوه الناس، يرقب انفعالاتهم نحوه، فربما جاءوا ليأخذوه، كما يقولون: يكاد المريب أنْ يقول: خذوني، فلو جلس قوم في مكان، ثم فاجأهم رجال الشرطة تراهم مطمئنين لا يخافون من شيء، أما المجرم فيفر هارباً"(٢).

وجملة﴿يَتَرَقَّبُ﴾كناية عن الخوف الشديد، والقلق القوي الذي أصاب سيدنا موسى-عليه السلام- في هذا الوقت، وقد أكدت هذه الكناية شدة الخوف الذي لحق بسيدنا موسى -عليه السلام-حيث عرضت الدليل الملموس على خوفه متمثلا في الترقب والتلفت والانتظار، وهذا هو سر بلاغة الكناية، فهي كما يقول البلاغيون" كدعوى الشيء ببينة وبرهان"(٣)، ومعلوم أن عرض الشيء ومعه دليله أقوى وآكد في إثبات معناه، وبهذا فقد جاء الخوف هنا في صورتين: الأولى ذكر فيها لفظ الخوف صراحة﴿خَآئِفًا﴾والثانية عن طريق الكناية وجملة﴿يَتَرَقَّبُ﴾، ولا شك أن عرض الشيء في صورتين أبلغ في إثباته من أن يأتي على صورة واحدة.

(١)- لطائف الإشارات للإمام القشيري: ٣/٥٩.

(٢)- تفسير الشعراوي: ١٧/ ١٠٩٠٠.

(٣)- شروح التلخيص: ٤/٢٧٥، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط١، ١٣٢٣ق.

والموضعان يربط بينهما رباط قوي، وهو رباط السببية؛ فموسى -عليه السلام- من شدة خوفه يترقب وينتظر ما سيحدث معه في قلق وخوف، ولم يعطف أحد اللفظين على الآخر لأنهما كالشيء الواحد، فدلالتهما واحدة، وهى الخوف، كما أن إيرادهما في سياق الحال يقتضي الملازمة، فالخوف ملازم له لا ينفك عنه، والحال الأولى ﴿خَآئِفًا﴾جاءت على صيغة اسم الفاعل وما يدل عليه من ثبوت؛ لتدل على ملازمة الخوف له، والحال الثانية وهي جملة ﴿يَتَرَقَّبُ﴾جاءت فعلية فعلها مضارع يدل على تجدد خوفه تجددا يشي بالاستمرار؛ مما يبرز حالة الخوف التي أصابت سيدنا موسى-عليه السلام- في هذا الموقف بأنها حالة ثابتة متجددة؛ مما يبالغ في شدة خوفه وقلقه.

والتعبير بالإصباح أيضا للدلالة على ظهور الخوف ووضوحه عليه بعد ارتكاب جنايته، كما أنه يدل أيضا على ملازمة الخوف له، وأنه" دائم الخوف في كل أوقاته كما تقول: أصبح زيد عالما"(١)، فالفعل ﴿فَأَصۡبَحَ﴾غني بدلالاته التي تناسب المقام، وتصف حالة موسى-عليه السلام- في هذا الوقت أبلغ وصف، وساعد على إثبات شدة خوفه كونه في مدينتهم(٢) فهو قريب منهم، ويسهل عليهم أن ينالوا منه.

وبهذا فقد صورت هذه الجملة حالة الخوف التي أحاطت بسيدنا موسى -عليه السلام- بعد قتله القبطي أبلغ تصوير، وكان لكل كلمة دورها الرائد في التصوير، وإثبات المعنى.

---

(١)- المحرر الوجيز: ٤/ ٢٨١.

(٢)- اختلف حول المقصود بالمدينة هنا، فقيل: هي مدينة منف من أرض مصر، وقال مقاتل: كانت قرية يقال لها خانين على رأس فرسخين من مصر. وقيل: مدينة عين شمس. ينظر: تفسير البغوي: ٣/ ٥٢٦. ومفاتيح الغيب للرازي: ٢٤/ ٥٨٤.

**الثالث**- قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾أي: ينتظر الطلب بعد أن علم بمعرفتهم الحقيقة، وأنهم بدأوا يبحثون عنه، والتعبير يوحي بتمكن الخوف منه، وملازمته له، وما شأنك بمطارد يلاحقه فيها خصمه الموتور، لابد أن الخوف في هذه الحالة سيتمكن منه، وما بالك إذا كان الذي يطارده أعتى الجبابرة على مر الأزمان والعصور(فرعون)، "وفي القصة: أن فرعون بعث لطلبه حين أخبر بهربه، وقال: اركبوا ثنيات الطريق، فإنه لا يعرف كيف الطريق.

وروي أنه خرج متوهجا لا يدري أين يذهب، فبعث الله- تعالى- ملكا حتى هداه إلى الطريق، وفي بعض التفاسير: أنه خرج حافيا يعدو ثمان ليال ليس معه زاد، قال ابن عباس: وهو أول ابتلاء من الله لموسى يسقط خف قدمه، وجعل يأكل البقل حتى كان يرى خضرته في بطنه"(١)، وما قيل في الموضع السابق في تحليل قوله تعالى﴿ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾يقال هنا، ومما يؤكد شدة خوفه هنا توجهه إلى ربه- سبحانه- أن يخلصه منهم وينجيه من ظلمهم﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾فلم يعد له ناصر غير ربه ينصره في هذا الوقت العصيب، ساعده التعبير بالنجاة" تىالذي يشعر بإحاطة المعاطب به من كل جانب، وبلوغ الشدة منه مبلغها؛ فهو يطلب النجدة والحماية من مولاه- سبحانه-.

**الرابع**-قوله تعالى:﴿ "قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ومعناها: لا تخف من فرعون وبطشه؛ لأن مدين ليست ضمن مملكته فلا سلطان له

(١)- تفسير السمعاني: ٤/ ١٣٠.

عليها، وهذه الجملة تتضمن إيناساوتطمينا لسيدنا موسى-عليه السلام- من نبي الله شعيب- على أرجح الأقوال(١).

وبالتأمل يتضح اقتصار سيدنا شعيب في تطمينه لسيدنا موسى على شيء واحد فقط وهو النهي المعلَّل عن الخوف دون أي شيء آخر؛ ولعل ذلك لما رأي عليه من أمارات الخوف الشديد؛ فأدرك أن الأمن هو أهم شيء يحتاجه من هو في مثل هذه الحال من الذعر والخوف فاقتصر عليه.

ولم يكتف سيدنا شعيب -عليه السلام- بإيراد النهي عن الخوف مجردا وإنما أتبعه بالتعليل ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ زيادة في تطمينه؛ فالشيء حين يأتي معللا يكون أبلغ في إثبات معناه من إلقائه مجردا عن التعليل(٢)، وزاد المبالغة في التطمين التعبير بالماضي ﴿نَجَوْتَ﴾ للدلالة على تحقق النجاة، كما أن التعبير بصيغة النجاة يعود بنا إلى بداية الحدث حين خروجه من القرية خائفا متضرعا" ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ليربط بين الدعاء والإجابة؛ فقد طلب النجاة في البداية وتحققت له على لسان نبي الله شعيب في النهاية، فما أجمله من ختام تختم به هذه الحلقة!

والتعبير بالجمع في: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [القصص: ٢٥] يشير إلى أن موسى –عليه السلام- قد استفاض في شرح قصته بكامل أحداثها، وفتح له قلبه بعد أن اطمأن إليه وأطلعه على ملابسات حياته كلها.

(١)- ينظر: البحر المحيط:٨/ ٢٩٨. وتفسير الشعراوي: ١٧/ ١٠٩٠٨.

(٢)- ينظر: الطراز للعلوي: ٣/ ١٣٨، ١٣٩، دار الكتب العلمية- بيروت.

وفصلت جملت ﴿ لَا تَخَفۡۖ ﴾ عن جملة ﴿ نَجَوۡتَ ﴾ لكمال الانقطاع، فالأولى إنشائية والثانية خبرية.

وإيثار التعبير بـ ﴿ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ ﴾ بدلا من (فرعون) ليؤكد له كمال الإيناس والطمأنينة، فهو قد نجا من فرعون من كل الظالمين، وهذا أبلغ في بث الطمأنينة في قلبه.

وبمعاودة التأمل في الآيات من أولها نلحظ أن الخوف كان حاضرا في كل أحداثها بقوة، حيث تكرر فيها ست مرات، ثلاث على سبيل الحقيقة، وثلاث على سبيل الكناية، واستمر ملازما لسيدنا موسى -عليه السلام-طوال رحلته، وحتى عند الفرج نجد لفظ الخوف لا يتخلى عن حضوره، مما يبرز شيوعه في قصة سيدنا موسى-عليه السلام- وملازمته له في معظم الأوقات، كما أن خوفه-عليه السلام- هنا كان خوفا من القتل وهو خوف مثل ما يعرض لبعض البشر حين يرتكب جريرة قتل فيعيش خائفا من الثأر، وذلك لأنه-عليه السلام- لم يكن قد أوحي إليه بعد.

*****

ض

## المبحث الثالث

## خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عند نداء ربه سبحانه له

**تقدمة:**

من المواقف التي ذكرها القرآن الكريم لسيدنا موسى-عليه السلام- موقف تكليم الله تعالى له، وندائه على جبل الطور، واطلاعه على بعض الآيات التي ستكون برهانا على رسالته كاليد والعصا، وطلبه من ربه أن يريه كيف يراه، وغير ذلك.

وعلى الرغم من أن الموقف لقاء مع الرب- سبحانه- الذي تولاه منذ كان رضيعا بعنايته،فإن الخوف كان ملازما له أيضا، ولعلها هول المفاجأة في لقائه مع ربه عندما أمره بإدخال يده في جيبه وخروجها بيضاء لا أثر فيها، وبإلقاء العصا، وانقلابها حية كبيرة، واندكاك الجبل عندما تجلى الله- تعالى- له.

**وقد ذكر هذا المشهد في سور القصص والنمل وطه والأعراف على النحو الآتي:**

قال تعالى في سورة القصص:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

﴾(القصص: ٢٩-٣٢).

تدور هذه الآيات حول حلقة أخرى من حلقات قصة سيدنا موسى-عليه السلام- بعد أن قضى الأجل الذي اتفق عليه مع نبي الله شعيب-عليه السلام- (عشر سنوات)، وسار بأهله عائدا من مدين إلى مصر مرة أخرى، وفي طريق عودته يحدث له ما لم يكن يتوقعه؛ حيث يناديه ربه ويكلمه، ويكلفه بدعوة الطاغية فرعون إلى الله- تعالى-، ويريه بعض الآيات ثثبيتا له.

**وقد تكرر الخوف في هذا المقام في عدة مواضع على النحو الآتي:**

في قوله تعالى:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ورد الخوف مرتين في هذه الآية، مرة عن طريق الكناية، وأخرى في سياق النهي الصريح، فقوله تعالى ﴿ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾معناه: فر هاربا ولم يرجع، وهو كناية عن خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عندما ناداه ربه- سبحانه- في هذا المكان المبارك، وأمره بإلقاء عصاه فرآها تهتز في قوة كأنها جان( حية كبيرة)(١)، ذكر الرازي أن" قوله كأنها جان صريح في أنه تعالى شبهها بالجان، ولم يقل إنه في نفسه جان، فلا يكون هذا مناقضا لكونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث

(١)- والجانّ واحد الجِنّان، وهي نوع معروف من أنواع الحيات، الجان: الحية الصغيرة، والثعبان: الحية العظيمة. وهي منها عظام. ومعنى الكلام: كأنها جانّ من الحيات. ينظر: تفسير الطبري: ١٩/ ٥٤٧. وذكر السمعاني أن: الجان: الحية الصغيرة، والثعبان: الحية العظيمة. ينظر: تفسير السمعاني: ٤/ ١٣٨.

الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار"(١)، ووقوع هذه الجملة في سياق جواب الشرط تأكيد لخوف سيدنا موسى -عليه السلام- حين انقلبت العصا حية، ساعده ماضوية فعلي الشرط والجواب.

ويلحظ هنا أن التعبير عن خوف سيدنا موسى-عليه السلام- جاء في ثلاث صيغ مختلفة يؤكد بعضها بعضا" ولَّى مدبرا ولم يعقب" **الأولى﴿ وَلَّىٰ ﴾**فعل ماضي يدل على التحقيق، **والثانية﴿ مُدۡبِرٗا ﴾**اسم فاعل يدل على اللزوم، **والثالثة﴿ وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾**فعل مضارع منفي يدل على التجدد، مما يدل على أن التولي متحقق ثابت متجدد له في هذا الموقف، مما يؤكد شدة خوفه.

وذكر الماوردي أنه ولى هاربا لسببين: **"أحدهما:** أنه رأى ما خالف العادة فخاف. **الثاني:** أنه يجوز أن يظن الأمر بإلقائها لأجل أذاها فولَّى هارباً حتى نودي فعلم"(٢).

وذكر السمعاني:" أنه رأى شيئا بخلاف العادة، ومن رأى شيئا بخلاف العادة فخاف عذر، وقد روي أنها لما صارت حية ابتلعت ما حولها من الصخور والأشجار، وسمع موسى لأسنانها صريفا عظيما، فهرب"(٣)، والتعبير بـ«الجان» وهو صغير الحيات أبلغ في إثبات الخوف، لأن حركتها أكثر، فجمعت هول الثعبان ونشاط الجان، هذا قول بعضهم، وقالت فرقة:

---

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٩٤)

(٢)- تفسير الماوردي: ٤/ ٢٥١.

(٣)- تفسير السمعاني: ٤/ ١٣٨.

بل «الجان» يعم الكبير والصغير، وإنما شبه بـ«الجان» جملة العصا لاضطرابها فقط(١)

وقوله تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ نهي صريح عن الخوف بعدما ولى موسى مدبرا، فيناديه ربه ليرجع، ويطمئنه ويؤمّنه.

وقد جاء النهي عن الخوف هنا تأكيدا للأمر بالإقبال قبله تطمينا له -عليه السلام-، وتأكد هذا النهي بالتعليل المؤكد بعده ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾؛ زيادة في التطمين والأمان، ونداؤه -عليه السلام- باسمه زيادة في التطمين والتأنيس، وتآزر معه استعمال أداة البعد" يا" لتشريفه وتعظيمه.

وإيثار التعبير بالجملة الاسمية هنا دون أن يقال: ارجع فسوف أؤمنك؛ للدلالة على لزوم الأمان له، والمعنى أنها" قضية مستمرة ملازمة لك؛ لأنك في مَعيّة الله، ومَنْ كان في معية الله لا يخاف، وإلا لو خِفْتَ الآن، فماذا ستفعل أمام فرعون"(٢).

جدير بالذكر أنه تعالى هنا في سورة القصص طمأنه بقوله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ وفي سورة النمل قال ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡۖ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾(النمل: ١٠) بزيادة أقبل في سورة القصص وهي تصريح بمضمون قوله لا تخف في سورة النمل؛" لأنه لما أدبر خوفا من الحية كان النهي عن الخوف يدل على معنى طلب إقباله فكان الكلام هنالك إيجازا وكان هنا مساواة تفننا في حكاية

(١)- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٨٧)

(٢)- تفسير الشعراوي (١٨/ ١٠٩١٦)

القصتين، وكذلك زيادة إنك من الآمنين هنا ولم يحك في سورة النمل، وهو تأكيد لمفاد ولا تخف. وفيه زيادة تحقيق أمنه بما دل عليه التأكيد بـ (إن) وجعله من جملة الآمنين فإنه أشد في تحقيق الأمن من أن يقال: إنك آمن"(١).

كذلك اختلف تعليل النهي عن الخوف في الآيتين، ففي القصص جاء التعليل"﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْأَمِنِينَ﴾ وفي النمل علل بقوله تعالى:﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ولعل ذلك لأن القصة في سورة القصص أطول وسرد الأحداث فيها أكثر فناسبها زيادة الأمر" أقبل" وذكر ما حدث له من اليد والعصا ثم بعد ذلك يذكر الرسالة في قوله تعالى ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، أما سورة النمل فالقصة فيها مبنية على الإيجاز في سرد الأحداث فناسبها ذكر الرسالة بعد النهي عن الخوف مباشرة، وبهذا ناسب كل سياقه ومقامه.

وفي قوله تعالى ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ ذكر للخوف أيضا، إذ الرهب معناه الخوف،" قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء وبفتح الراء حفص، وقرأ الآخرون بفتحهما وكلها لغات بمعنى الخوف"(٢)، قيل:" خاف موسى أن يكون حدث به سوء، فأمره- تعالى-

---

(١)- التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٣)

(٢)- تفسير البغوي - إحياء التراث (٣/ ٥٣٤)، وذكر بعض المفسرين أن المقصود بالرهب: الكُم، ورده الزمخشري قائلا" ومن بدع التفاسير: أن الرهب: الكم، بلغة حمير وأنهم يقولون: أعطنى مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟ وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم؟ ثم ليت شعري كيف

أن يعيد يده إلى جيبه لتعود على حالتها الأولى، فيعلم موسى أنه لم يكن سوءا بل آية من الله"(١)،والمعنى: ضع يدك على صدرك حتى يزول ما بك من خوف، وقد قيل:" ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه"(٢).

ويمكن" أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدده عند انقلاب العصاحية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر، لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما"(٣)، وهي استعارة تدل على العزم والتجلد للقيام بما أمره ربه دون خوف وتقاعس.فالمعنى كما ذكر البيضاوي" أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك"(٤).

ويمكن أن تكون كناية عن ذهاب الخوف، فذكر الطاهر بن عاشور أنها" كناية عن سكون اضطراب الخوف، ويكون من هنا للبدلية، أي اسكن سكون الطائر بدلا من أن تطير خوفا، وهذا مأخوذ من أحد وجهين ذكرهما الزمخشري قيل: وأصله لأبي علي الفارسي. والرهب معروف أنه الخوف كقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

---

موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة( جبة من صوف) لا كمى لها". ينظر: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٠٩)"

(١)- البحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٠٢)

(٢)- تفسير السمعاني:٤/ ١٣٩.

(٣)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٠٨)

(٤)- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٧٧)

﴿٩٠﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]. والمعنى: انكفف عن التخوف من أمر الرسالة"(١)، وذكر الإمام الشعراوي أن" هذه العملية يُصدِّقها الواقع، فنرى المرأة حين ترى ولدها مثلاً يسيء التصرف تضرب صَدْرها وتولول، وسيدنا ابن عباس يقول: كل من خاف يجب عليه أن يضرب صدره بيديه ليذهب عنه ما يلاقي، ولك أن تُجرِّبها لتعلم صِدْق هذا الكلام"(٢).

وإيثار التعبير بالرهب دون الخوف هنا؛ لأن الرهب أقوى حيث يدل على الخوف الشديد المزلزل؛ فالخوف قد يكون داخليا فقط، أما الرهب فيشمل الباطن والظاهر، يقول السمين الحلبي-رحمه الله-:" والرهب: مخافة مع تحرزٍ واضطراب. قيل: وأصل ذلك من الرهابة، وهي عظام الصدر، لأنها تضطرب! عند الخوف"(٣)، فكان التعبير به مناسبا لشدة الموقف الذي تعرض له سيدنا موسى هنا في لقائه مع ربه.

وقد ورد هذا المشهد أيضا في سورة طه في قوله تعالى:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ

(١)- التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٤)

(٢)- تفسير الشعراوي (١٨/ ١٠٩١٨)

(٣)- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، ت/ محمد باسل عيون السود (٢/ ١١٦)، نشر/ دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ç/ ١٩٩٦م.

﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾(طه: ٩ – ٢٣).

وقد ذكر الخوف هنا بعدما أمره الله تعالى بإلقاء عصاه فانقلبت حية فخاف سيدنا موسى، فأمره الله تعالى بأخذها مرة أخرى، وسيردها الله عصا كما كانت على هيئتها الأولى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴾، وليس هذا تكرارا لسرد الحدث كما قد يفهم بعضنا، وإنما هو كما ذكر الطبري-رحمه الله-:" عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقها يا موسى، ألقاها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ولم تكن قبل ذلك حية، قال: فمرّت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، قال: فولى مدبرا، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية: أن ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ ﴾، فلم يأخذها، فقيل له في الثالثة ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[القصص: ٣١k ]، فأخذها"(١).

وقد جاء النهي عن الخوف هنا معلَّلا_ كما هو الشأن في معظم النواهي التي وردت في القصة- بإعادتها عصا كما كانت تطمينا له ، وإيناسا لنفسه، فإنه" ما كان لموسى وهو مضطرب بسبب المفاجأة، لهذا الانقلاب أن يمد

(١)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٢٩٥).

يده إليها ليأخذها إلا بعد الاطمئنان، وقرار النفس، ولذا قرن ﷻ الأمر بأخذها بالنهي عن الخوف لتقر نفسه وتطمئن، وبين له أن ما أزعجك من الانقلاب زائل؛ ولذا قال عز من قائل:﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾(١).

وأوثر التعبير بإعادتها لسيرتها الأولى دون أن يقال: سنعيدها عصا؛ لزيادة تطمينه؛ حيث إن اللفظ المعبَّر به يوضح أنها ستعود عصاه نفسها بهيئتها التي كانت عليها دون تغيير في شكلها أو مواصفاتها، فإنه" يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى"(٢)، ساعده التعبير بصيغة الإعادة"سنعيدها"وهذا أبلغ في تطمينه وإيناسه، بخلاف ما لو قيل: سنعيدها عصا فلربما ترجع عصا على غير ما كانت عليه؛ مما يبرز دقة التعبير القرآني من جهة، وكمال العناية الإلهية لسيدنا موسى-عليه السلام- من جهة أخرى.

وقد أُكد التعليل بالسين والوصف" الأولى"؛ لتأكيد رجوعها عصا على الهيئة نفسها قبل ذلك؛ وهذا مما يزيد درجة التأكيد، وهو لا شك توكيد قوي يتناسب مع حالة الخوف الشديدة التي أصابت سيدنا موسى-عليه السلام- في هذا الموقف، فحالته تتطلب هذا التوكيد القوي لاقتلاع جذور الخوف من نفسه.

---

(١)- زهرة التفاسير (٩/ ٤٧١٥).

(٢)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر - (١٨/ ٢٩٦).

وذكر الزمخشري-رحمه الله- أنه" قيل: لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيها"(١).

وأشار القرطبي-رحمه الله- إلى أن الله تعالى" إنما أظهر له هذه الآية لئلا يفزع منها إذا ألقاها عند فرعون"(٢)، " أي ليس القصد تخويفك، بل إظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة، ومشاهدة معجزة وبرهان لك"(٣)، وهذا كالتدريب والتثبيت له قبل إرساله إلى فرعون.

ومما يؤكد عدم التكرار في القصص القرآني أن السياق هنا طوى جملا كثيرة معلومة؛ فطوى ذكر خوف موسى-عليه السلام- ولم يذكره، والتقدير: فألقاها فصارت حية كبيرة، فلما رآها موسى كذلك خاف، فقال الله له خذها ولا تخف؛ ولم يصرّح الذكر الحكيم بخوف موسى-عليه السلام- هنا لذكره في سورة القصص في قوله تعالى" ولى مدبرا ولم يعقب" كما ذكرت سابقا؛ مما يؤكد عدم التكرار في القصص القرآني.

وقد ورد الخوف أيضا عن طريق الكناية في هذا المشهد في قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٨).

(٢)- تفسير القرطبي (١١/ ١٩٠).

(٣)- تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٧/ ١٢٣).

دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾(الأعراف: ١٤٢ - ١٤٣).

والآيات تحكي ما حدث لسيدنا موسى-عليه السلام- عندما طلب من ربه رؤيته له- سبحانه-، فأخبره الله- تعالى- بأنه لن يراه لأنه لا يقدر ولا يتحمل ذلك؛ فرؤيته تعالى في الدنيا مستحيلة؛" لأن تكويننا غير مؤهل لأن يرى الحق، بدليل أن الأصلب والأقوى منا وهو الجبل حينما تجلى ربه عليه اندك. فلما اندك الجبل خر موسى صعقا، فإذا كان موسى قد خر صعقا لرؤية المتَجلَّى عليه وهو الجبل فكيف لو رآه؟"(١)، وأراد الله تعالى أن يثبت له ذلك عمليا، فطلب منه أن ينظر للجبل وهو الأقوى من موسى وسيتجلى ربه للجبل، فلما تجلى المولى- سبحانه- للجبل اندك وصار قطعا متطايرة، فلما رأى سيدنا موسى-عليه السلام- ذلك فزع فزعا شديدا، وخر مغشيا عليه.

وقد طلب سيدنا موسى-عليه السلام- الرؤية ظنا منه أنها" جائزة في الدنيا فلم يسأل-عليه السلام- محالا، وإنما سأل جائزا ممكنا وحاشاه-عليه السلام- من أن يسأل محالا ويجهل من ربه مثل هذا لولا الجواز"(٢).

وقوله:﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾أي مغشيا عليه(٣)، وهي كناية عن شدة الخوف.

---

(١)- تفسير الشعراوي (٦/ ٣٨٤٣).

(٢)-ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١/ ١٧٤).

(٣)- اختلفت أقوال بعض المفسرين في معنى قوله تعالى﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾فقال قتادة: أي ميتا، وكان قد مات تلك الساعة. وقال الحسن وابن عباس: خر مغشيا

فقد ذكر الإمام القشيري-رحمه الله- أن معناها:" فزع موسى حتى خرّ صعقا"(١).وذكر -رحمه الله- أن المعنى:" ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أي فلما ظهر نور الله على الجبل متجليا له ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، أي مستويا بالأرض، وكان لذلك ما يثير الفزع في نفس موسى ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، كأنما أصابته صاعقة"(٢).

وإثبات الخوف الشديد لموسى-عليه السلام- هنا عن طريق الكناية أبلغ من أن يقال مثلا: وخاف موسى خوفا شديدا؛ لأن الكناية أثبتت الخوف هنا مقرونا بدليله مشفوعا ببرهانه وهو الوقوع مغشيا عليه، ولا شك أن إثبات الشيء ومعه الدليل عليه أبلغ من إثباته دون دليل.

ومعلوم أن الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، فموسى-عليه السلام- لما رأى ما حدث للجبل خاف خوفا شديدا فخر مغشيا عليه، بل إنه حين ينضم المعنى الأصلي إلى المعنى الكنائي يكون ذلك أقوى وأبلغ في إثبات المعنى، ولا يمكن إجراؤها على المجاز لأن كلا المعنيين مراد هنا.

وتبدو روعة الكناية هنا في دلالتها على المعنيين( الخوف والصعق) دفعة واحدة؛ وهو إيجاز بديع يتناسب مع هيبة الموقف وجلاله.

---

عليه. وهذا أليق بالنظم؛ لأنه قال ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾. ينظر: تفسير السمعاني (٢/ ٢١٣)، و تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/ ٢٣١).

(١)- لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٥٦٦).

(٢)- زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٤٦).

وتآزر مع الكناية في إبراز شدة الخوف التعبير بالخرور وهو السقوط والانكباب على الأرض، وكذلك التعبير بالصعق وما يدل عليه من شدة وهلاك.

يقول الزمخشري-رحمه الله-:" وصعق من باب: فعلته ففعل. يقال صعقته فصعق. وأصله من الصاعقة. ويقال لها الصاقعة، من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه: خر مغشيا عليه غشية كالموت"(١).

"وقيل: هي كل عذاب مهلك. وقيل: هي الموت وإن اختلفت أسبابها من ريحٍ أو نارٍ أو صوتٍ أو غير ذلك. قوله: ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي لحقته غشية بدليل: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾[الأعراف: ١٤٣] وهو نوع من الإغماء، والإغماء جائز على الأنبياء لأنه من بعض الأمراض بخلاف الجنون"(٢).

والتعبير بصيغة المبالغة" صَعِق" بمعنى المصعوق مبالغة في إبراز شدة الخوف الذي لحق بسيدنا موسى-عليه السلام- في هذا المشهد.

وهكذا تكرر ذكر الخوف في هذا المشهد في سياقات مختلفة، وفي سور مختلفة أيضا، ومنه ما ورد صريحا، ومنه ما كان عن طريق الكناية كما وضحت، وكان كل سياق يعرض الخوف من زاوية غير التي وردت في السياق الآخر- والله أعلم-.

*****

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٥٥).
(٢)- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ٣٣٨).

ض

## المبحث الرابع

### خوف موسى-عليه السلام- عند تكليفه بالذهاب لفرعون وطلبه الاستعانة بهارون(١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾(الشعراء: ١٠ -٢٢).

تبين هذه الآيات الكريمة قصة تكليف الله- تعالى- لسيدنا موسى -عليه السلام- بالذهاب إلى فرعون وقومه، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده، وتخليص بني إسرائيل من بطشه وظلمه، فيطلب موسى-عليه السلام- من ربه العون بأخيه هارون، متذكرا فعلته السابقة مع القبطي، معلنا خوفه منهم

---

(١)- ورد ذكر طلب موسى-عليه السلام- الاستعانة بأخيه هارون-عليه السلام- في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: طه ٢٤-٣٦، والشعراء ١٠-٢٢، والقصص ٣٢-٣٥، ولم يرد ذكر الخوف في سورة طه لذلك فلن أتعرض له؛ لأنه لا يدخل في صميم موضوع البحث، وفي سورة القصص ذكر الخوف مرتين هما تقريبا ذكرا بالنص في سورة الشعراء مع اختلاف يسير في سياق السورتين سأشير إليه- إن شاء الله تعالى- في نهاية المبحث، أما في سورة الشعراء هنا فقد تكرر ذكر الخوف أربع مرات شملت موضعي سورة القصص؛ لذا سأكتفي بذكر المشهدين الواردين في سورتي الشعراء والقصص فقط وتحليلهما- إن شاء الله-.

بسببها، فيجيب ربه- سبحانه- طلبه ويمده بهارون-عليه السلام- فيذهبان إلى فرعون، ويطلبان منه الإفراج عن بني إسرائيل، فيذكّره فرعون بتربيته له في بيته، وبقتله القبطي، فيبين له سيدنا موسى أنه ماقتله عامدا، وفرَّ منهم خوفا من ظلمهم، وأن يقتلوه قصاصا في قتل خطأ، وأن الله قد امتن عليه بعد ذلك بالرسالة.

**وقد ورد الخوف صريحا في هذه الآيات في ثلاثة مواضع، وورد عن طريق المجاز في موضع وذلك على النحو التالي:**

الموضع الأول- قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ وقد أكد خوفه هنا بـ" إن" واسمية الجملة والتعليل بثلاثة أمور وهي: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان.

وقد رتبت هذه التعليلات ترتيبا بديعا؛ فـ" التكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة، لأنه عند ضيقالقلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب، وإذا انقبضا إلى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان، فالتأذي من التكذيب سبب لضيق القلب، وضيق القلب سبب للحبسة، فلهذا السبب بدأ بخوف التكذيب، ثم ثنى بضيق الصدر، ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان"(١).

ويبدو لي- والله أعلم- أن هذه التعليلات كما أنها تعليلات لخوفه فهي في الوقت نفسه تعليلات وتقدمات لطلبه الاستعانة بأخيه، يقول

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٣/٤٩٤).

البيضاوي-رحمه الله-:" وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر، بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه"(١).

وخوف سيدنا موسى-عليه السلام- هنا لم يكن خوفا على نفسه؛ وإنما كان خوفه ألا تُبلَّغ رسالة الله- تعالى- إلى فرعون على الوجه الأكمل الذي يريده المولى- سبحانه-؛ ولذلك طلب من ربه الاستعانة بأخيه، ولو كان خوفه على نفسه لأبعد أخاه عن مثل هذه المواجهة التي قد يكون فيها هلاكهما، يؤكد ذلك تقديم خوف التكذيب على خوف القتل.

**وقد أبدع الزمخشري-رحمه الله- في تفسير هذه الآية حيث قال:**" فإن قلت: كيف ساغ لموسى-عليه السلام- أن يأمره الله بأمر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل، وقد علم أن الله منورائه؟ قلت: قد امتثل وتقبل، ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته، فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه، ثم التمس بعد ذلك، وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر: ليس بتوقف في امتثال الأمر، ولا بتعلل فيه، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل"(٢)، يعضد ذلك ما ذكره الرازي-رحمه الله- قائلا:" واعلم أنه ليس في التماس موسى-عليه السلام، أن يضم إليه هارون ما يدل على أنه استعفى من الذهاب إلى فرعون؛ بل مقصودهفيما سأل أن يقع ذلك الذهاب على أقوى الوجوه في الوصول إلى المراد"(٣)، وقريب منه قول أبي حيان-رحمه الله-:" وقوله: إني أخاف إلى

(١)-. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٤).
(٢)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٠٢).
(٣)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٤).

آخره، بعد أن أمره الله بأن يأتي القوم الظالمين، ليس توقفا فيما أمره الله- تعالى- به، ولكنه طلب من الله أن يعضده بأخيه، حتى يتعاونا على إنفاذ أمره- تعالى-، وتبليغ رسالته، مهد قبل طلب ذلك عذره ثم طلب. وطلب العون دليل على القبول لا على التوقف والتعلل"(١).

وعلَّل ابن عطية-رحمه الله- إعلان موسى-عليه السلام- الخوف هنا فقال:" ولعظيم نخوة فرعون وتألهه وطول مدته وما أشربت القلوب من مهابته قال-عليه السلام- ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾(٢)، وإن كانت النخوة لا تعرف لمثل هذا الطاغية المتجبر طريقا.

وذكر الطاهر بن عاشور-رحمه الله- أن موسى-عليه السلام-" إنما خاف أنيكذبوه لعلمه بأن مثل هذه الرسالة لا يتلقاها المرسل إليهم إلا بالتكذيب، وجعل نفسه خائفا من التكذيب لأنه لما خلعت عليه الرسالة عن الله وقر في صدره الحرص على نجاح رسالته فكان تكذيبه فيها مخوفا منه"(٣).

وعلى هذا فإن" الخوف هنا لَا يتضمن معنى النكوص عن الاستجابة لربه، إنما يتضمن معنى تقدير الموقف وإرادة الاستعداد، والشعور بعظم المهمة التي كلفه اللَّه- تعالى- إياها، وإنها تحتاج إلى جمع كل ما عنده من قوة، وقد أحس بموضع الضعف فيه، وهو البيان مع توقع الضيق والحرج"(٤).

---

(١)- البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٤٤).

(٢)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٢٦).

(٣)- التحرير والتنوير (١٩/ ١٠٥).

(٤)- زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٤٣).

**الموضع الثاني-** قوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾يعنى: "ولهم على تبعة ذنب، وهي قود ذلك القتل، فأخاف أن يقتلوني به"(١).فموسى-عليه السلام-" قد خاف أن يقتلوه بالنفس التي قتلها ، فلا يتم إبلاغ الرسالة لأنه يعلم أن الله تعالى بعثه رسولاً تكفل بعونه على تأدية رسالته"(٢).

والخوف هنا أيضا ليس خوفا على نفسه؛ وإنما خوف على عدم إيصال الرسالة على الوجه الأتم؛ ولذلك فالتعليل بالذنب هنا والقتل ليس تعليلا للخوف من الموت، وإنما تعليل لطلبه الاستعانة بهارون-عليه السلام-فـــالمعنى كما ذكر الرازي-رحمه الله-" أن لهم عندي ذنبا فأخاف أن يبادروا إلى قتلي، وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة. وأما هارون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة"(٣).

فـــ" هو أيضاً ليس تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة، كما إن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة"(٤)، وذكر الطاهر بن عاشور-رحمه الله- أن هذا" تعريض بسؤال النصر والتأييد وأن يكفيه شر عدوه حتى يؤدي ما عهد الله إليه على أكمل وجه"(٥).وقد أكد الخوف هنا بتأكيدات عدة على رأسها التخصيص وقد ورد مرتين:

---

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٠٣).
(٢)- تفسير الماوردي = النكت والعيون (٤/ ١٦٦).
(٣)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٤).
(٤)- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٤).
(٥)- التحرير والتنوير (١٩/ ١٠٧).

**الأولى**- تقديم الجار والمجرور" لهم" لتأكيد أن هذا الذنب لهم هم لا لغيرهم؛ وهذا أدعى لتسويغ خوفه، وطلبه الاستعانة بأخيه هارون.

**الثانية**- تقديم الجار والمجرور" عليَّ" أيضا لتأكيد أن هذا الذنب لهم عليه هو لا على غيره؛ وهو مما يبالغ في تبرير خوفه أيضا وطلبه الاستعانة.

كما أكد الخوف أيضا هنا بالتعليل كالموضع السابق، فقد علل سيدنا موسى-عليه السلام- خوفه بما فعله معهم سابقا من قتل القبطي.

والتعبير عن القود بالذنب يمكن أن يكون على حذف المضاف اختصارا للعلم به، والتقدير: تبعة ذنب، أو هو من قبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية؛ لأن الذنب هو السبب في هذه التبعة؛ إبرازا لقوة السبب، والحقيقة أن هذا ليس ذنبا؛ لأن سيدنا موسى-عليه السلام- لم يكن يقصد قتله، وعلى هذا يكون المراد" لهم عليَّ ذنب في زعمهم"(١).

يقول الإمام البقاعي-رحمه الله-:" وقال: {ذنب} وإن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه، ولذلك قيده بـ «لهم»(٢).

**الموضع الثالث**- قوله تعالى:﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ذكر الإمام القشيري-رحمه الله- أن" قوله: ﴿ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ** ﴾: يجوز حمله على ظاهره، وأنه خاف منهم على نفسه، والفرار- عند عدم الطاقة- غير مذموم عند كلّ أحد، ويقال: فررت منكم لمّا خفت أن تنزل بكم عقوبة من الله لشؤم شرككم، أو من قول فرعون:

---

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٤).

(٢)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ١٧).

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[القصص: ٣٨](١)، والأول أقوى؛ فالخوف هنا تعليل للفرار عندما علم بتآمرهم على قتله كما صرح بذلك في قوله تعالى﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾.

والتعبير بالفرار يدل على شدة الخوف لما يعلمه من شدة توعدهم له، وإصرارهم على قتله.

والعطف بالفاء يدل على تتابع أحداث القصة وتسلسلها تماهيا مع مقام الحكاية.

والتعبير بضمير الجمع" منكم، خفتكم" مع أن المخاطب هنا فرعون؛ لأن التوعد بالقتل كان منه ومن ملئه كما يشير إلى ذلك قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ مما يؤكد خوفه منهم.

وإذا كان الخوف قد ورد صريحا في المواضع الثلاثة السابقة هنا فإنه ورد مرة عن طريق المجاز في قوله تعالى: ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ إذ معناها- كما ذكر السمعاني-:ألا يخافون(٢)، وذكر القرطبي أن "معنى" ألا يتقون" ألا يخافون عقاب الله؟ وقيل: هذا من الإيماء إلى الشيء لأنه أمره أن يأتي القوم الظالمين"(٣)، فعبر عن الخوف بالتقوى، وهي مسببة عنه، ففيه مجاز مرسل علاقته المسببية.

والتعبير بالتقوى مجاز عن الخوف، لأنها الغاية المرجوة منه، فالأديان السماوية ما نزلت لمجرد إخافة الناس وإرهابهم، وإنما الخوف المحمود هو

(١)- لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٣/ ٩).
(٢)- تفسير السمعاني (٤/ ٣٩).
(٣)- تفسير القرطبي (١٣/ ٩١).

الخوف الذي يؤدي بهم إلى التقوى، وأي خوف لا يثمر تقوى الله- تعالى- لا فائدة منه ولا قيمة له، فلم يطلب الله- تعالى- من موسى-عليه السلام- أن يذهب إلى فرعون لمجرد أنه لم يخف، وإنما لأنه لم يظهر عليه أثر الخوف وهو التقوى.

وذكر الزمخشري أن هذا" كلام مستأنف أتبعه-عز وجل- إرساله إليهم للإنذار، والتسجيل عليهم بالظلم، تعجيبا لموسى من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف، ومن أمنهم العواقب وقله خوفهم وحذرهم من أيام الله"(١).

وأكد على التقوى بالاستفهام المتضمن معنى العرض" ألا" لتأكيد الحث على التقوى والخوف من الله تعالى بعد أن ظهرت لهم الآيات الدالة على قدرته،" فجمع في هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم وأمرهم بالتقوى"(٢).

وبمعاودة التأمل في الآيات يدرك المتلقي غلبة الإيجاز بالحذف في كثير من المواضع، منها ما كان على سبيل الاستئناف البياني كحذف السؤال في أكثر من موضع كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ وقوله:﴿ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾وقوله: ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ وفصلها عما قبلها، وكما في طيّ جمل كثيرة لأنها معلومة لا حاجة لإظهارها، وهذا شأن القصص عامة.

---

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٠١). وينظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٤).

(٢)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٢٦).

وقد ورد ذكر هذا المشهد في سورة القصص أيضا في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾تكرر ذكر الخوف مرتين في سياق التعلل من سيدنا موسى، والتذرع لربه- سبحانه- حين كلفه بالذهاب إلى فرعون وقومه، ففي المرة الأولى يقول:﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ حيث يذكر جريرته وقتله القبطي، وخوفه الذهاب إليهم، والمعنى: فأخاف أن يذكروا قتلي القبطي فيقتلوني" فهذا كالاعتذار وهو يعلم أن رسالة الله لا يتخلص منها بعذر، ولكنه أراد أن يكون في أمن إلهي من أعدائه. فهذا تعريض بالدعاء، ومقدمة لطلب تأييده بهارون أخيه"(١).وقد أكد ذلك بـ " إن" واسمية الجملة والقصر عن طريق تقديم الجار والمجرور" منهم" لتأكيد خوفه واضطرابه حين أُمر بدعوتهم.

وفي الآية الثانية يطلب من ربه الاستعانة بأخيه هارون والتقوّي به عليهم، ويذكر علة طلبه أيضا وهي الخوف من تكذيبهم له﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ وجملة ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ تعليل لطلبه الاستعانة بأخيه هارون، ويلاحظ هنا أنه عند خوف القتل عبر بقوله﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾دون تأكيد، وفي الآية الثانية عبر بقوله﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾" مؤكدا بـ "إن" واسمية الجملة؛ مما يشير إلى أن خوفالتكذيب عنده هو الأهم فلذلك أكده.

(١)- التحرير والتنوير (٢٠/ ١١٥)

بقي أن أشير إلى أن هذا المشهد- طلب موسى الاستعانة بأخيه هارون- قد تكرر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع على النحو التالي:

في سورة طه قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ مِنَ﴾ [سورة طه: ٢٤-٣٦].

وفي سورة الشعراء: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٠-١٤].

وفي سورة القصص: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة القصص: ٣٢-٣٥].

وهذا من شأنه أن يحدو المتلقي إلى التساؤل عن اختلاف المحكي من قول موسى، -عليه السلام-، حين بعث إلى فرعون مع اتحاد القضية في السور الثلاث، وقد وقع في كل سورة منها ما ليس في الأخرى، فيسأل عن هذا؟ وعن وجه اختصاص كل سورة بما ورد فيها؟.

وبداية أقول: إن المشهد في سورة طه لم يذكر فيه الخوف لا صراحة ولا ضمنا، فلن أتعرض له لأنه لا يتصل بموضوع البحث، لكني فقط أشير إلى أن خلوها من ذكر الخوف" مناسب لما بنيت عليه السورة من التأنيس والبشارة لنبينا -صلى الله عليه وسلم- من لدن افتتاحها بقوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾(طه: ٢) إلى ختامها بقوله لنبيه عليه السلام: ﴿لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾(طه: ١٣٢) (١).

فيبقى معي موضعان ذكر فيهما الخوف، وهما سورتي الشعراء والقصص، والموضعان يكادان يتشابهان؛ ففي الشعراء:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [سورة الشعراء:١٢-١٥].

وفي القصص:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا

(١)- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢/ ٣٣٧).

يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ [سورة القصص:٣٣-٣٥]،فقد تعلل في الموضعين بالخوف من التكذيب والخوف من القتل؛ وذلك تقدمة لطلبه الاستعانة بهارون.

وبالتأمل يتضح القوة والإيجاز في سورة الشعراء؛ حيث تعرض لمحات من قصص أنبياء آخرين غير سيدنا موسى-عليه السلام-، كما تعرض قصة هلاك فرعون ومن معه؛ فاقتضى ذلك الإيجاز في عرض الأحداث، فيعرض سيدنا موسى-عليه السلام- طلبه الاستعانة بأخيه معللا طلبه في أسلوب متسارع من خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع اللسان وكذلك خوفه من القتل دون أن يذكر شيئا عن صفات هارون-عليه السلام- وفصاحته، وإنما يعرض الطلب مباشرة:﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الشعراء:١٣]، ولم يصرّح بقتل القبطي، وإنما عبَّر عنه بالذنب فقط؛ ولذلك تأتي الإجابة الإلهية على النسق نفسه موجزة دفعة واحدة ﴿أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ ﴾أما سورة القصص فقد اعتمدت التفصيل في عرض قصة سيدنا موسى-عليه السلام- منذ مولده، فسردت أحداثها في صورة مطولة؛ نجد هنا في هذا المشهد سيدنا موسى-عليه السلام- يصرح بقتله القبطي:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ويذكر أسباب طلبه الاستعانة بأخيه فيذكر فصاحة أخيه هارون، وحاجته إلى تصديقه: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

يقول أبو جعفر ابن الزبير -رحمه الله-: "وأما سورة الشعراء وسورة القصص فإنما بناؤها على قصص موسى-عليه السلام-، أما الشعراء فمبينة على ابتداء الرسالة ودعائه فرعون ومراجعة إياه إلى نجاة بني إسرائيل وإغراق فرعون، وأما سورة القصص فمبينة على ابتداء امتحان بني إسرائيل بذبح الأبناء واستحياء النساء للخدمة والمهنة، وتخليص موسى-عليه السلام- من ذلك، وتكفل الله -سبحانه- من ابتداء ونشأة، إلى توجهه إلى مدين ورجوعه من عند شعيب، -عليه السلام-، إلى ما تخلل ذلك وما أعقبت به، إلى أخذ فرعون وهلاكه، ولما كانت سورة الشعراء مذكوراً فيها قصص الرسل مع أممهم ابتداء واختتاماً فيما يخص حال الرسالة، إلى أخذ كل طائفة بما أخذت به، خصت من قصص موسى-عليه السلام- بما يلائم دعاء ومحاورة، إلى أخذ فرعون وملئه.

ولما كان قوله تعالى في سورة القصص:﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة القصص:٣].تأنيساً وتنبيهاً لنبينا-ﷺ-، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود:١٢٠]، وفي آخر السورة الإفصاح من هذا التأنيس برجوعه إلى مكة بعد أن أخرج عنها- عليها السلام- مهاجراً لأجل قومه، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص:٨٥].، ناسب ذلك من قصص موسى-عليه السلام- خروجه إلى مدين ورجوعه إلى مصر، فتناسب هذا أكمل مناسبة في السور الثلاث، (وإذا اعتبر ذلك علم أنه لا يناسب كل سورة من الثلاث) إلا ما خصت به، والله أعلم بما

أراد"(١).

ولعل تقديم الخوف من تكذيبهم على الخوف من القتل في سورة الشعراء، وتأخيره في سورة القصص؛ لما أن سورة الشعراء مبنية منذ بدايتها على إظهار التكذيب الصادر عن المشركين وطلبهم المعجزات، فهذه" السورة نزلت للرد على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات زاعمين أنهم لا يؤمنون إلا إذا جاءتهم آية فضرب لهم المثل بمكابرة فرعون وقومه"(٢)؛ فتناسب معها تقديم الخوف من التكذيب.

أما سورة القصص فقد ذكر قبل هذه الآيات الإلقاء في اليم وما يتضمنه من هلاك في الظاهر، وقتل موسى-عليه السلام- للقبطي، وتآمر الملأ على قتله، فتكرر فيها الحديث عن القتل؛ فناسب ذلك تقديمه على الخوف من التكذيب. والله أعلم.

*****

(١)- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (٢/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢)- التحرير والتنوير (١٩/ ١٠٣).

## المبحث الخامس

## خوف موسى وأخيه هارون- عليه السلام- عند إرسالهما إلى فرعون

قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾(طه: ٤٢ - ٤٧).

في هذه الآيات يصدر الأمر الإلهي لسيدنا موسى-عليه السلام- وأخيه هارون بالذهاب إلى فرعون الطاغية، ودعوته إلى عبادة الله-تعالى-، وترك التجبر والطغيان.

وعلى الرغم من أن الله سبحانه طمأنه قبل هذه الآيات، وعدَّد له المحن التي تعرَّض لها قبل ذلك منذ ولادته حين أوحى لأمه بإلقائه في اليم، وكيف نجاه وتعهده بالعناية، وجعله يتربى في بيت عدوه، وذكَّره كذلك بموقف أخته حين ألقي في البحر، وهي تتبعه إلى أن يستقر في بيت فرعون، فيحرِّم الله عليه المراضع، فتخبرهم أخته بمن يكفله لهم، ويرجعه إلى أمه لتأمن وتطمئن، ويذكِّره كذلك بقتله القبطي، وكيف أن الله نجاه وهداه إلى الذهاب إلى مدين،والعيش مع شعيب والزواج بابنته، ويذكِّره كذلك بأنه اصطنعه لنفسه، وأجاب طلبه بأن جعل أخاه هارون معينا له، كل هذا كان كفيلا بأن يطمئن سيدنا موسى-عليه السلام- وينزع جذور الخوف من نفسه، ويزرع في نفسه الثقة بأن الله- تعالى- الذي لم يتخل عنه في كل هذه المواقف السابقة، لن يتخلى عنه فيما هو آت، على الرغم من كل ذلك فإن

الطبيعة البشرية والجبلة الإنسانية تغلب عليهما فيعرض لهما الخوف حين أمرهما ربهما بالذهاب إلى فرعون، ويتملكهما الرعب، فـ" الخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم"(١)، هذا فضلا عن أن" الطاغي يرهب لأنه لَا قيد عنده من حق أو دين أو إيمان أو خلق"(٢)، سجل القرآن الكريم خوف سيدنا موسى-عليه السلام-وأخيه هارون في الآيات السابقة.

**وقد ورد الخوف فيها في موضعين:**

**الأول**- في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ والمعنى كما ذكر الطبري:" ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل"(٣)، أي أنه" ربما عاجلنا بالقتل قبل أن نقول شيئاً فيسبق قتلُه لنا كلامنا له، ﴿ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾فلا يكتفي بقتلنا، بل ويخوض في حَقِّ ربنا، أو يقول كلاماً لا يليق، كما سبق له أن ادَّعى الألوهية"(٤)،فهما يكشفان عن خوفهما من الذهاب إلى الطاغية فرعون؛ لأنه يمكن أن يتعرض لهما بسوء قبل أن يكملا دعوتهما له على الوجه الأتم، فهذا دأبه.

---

(١)- تفسير القرطبي (١١/ ٢٠٢).

(٢)- زهرة التفاسير (٦/ ٢٩١٩).

(٣)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٣١٤).

(٤)- تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٨٠).

وقد أكد الذكر الحكيم شدة خوفهما في هذا الموقف من خلال عدة وسائط منها: إسناد القول إلى ضميرهما( قالا)(١)؛ للدلالة على أن الخوف قد اعتراهما معا، ثم هذا الاستعطاف المدلول عليه بالنداء بوصف الربوبية" ربنا" وحذف حرف النداء، ثم تأكيد الخبر بـ" إن" واسمية الجملة﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ والتعبير بالإفراط" يَفْرُطَ"(٢) وما يدل عليه من تسلط وتسرع في الأذى، وإيلاؤه بما هو أعم ( الطغيان) ؛ لتسويغ خوفهما؛ ففرعون طاغية متسلط متسرع في العقاب يمكن أن ينالهما بسوء، وعلَّق الزمخشري-رحمه الله- الطغيان بكونه في جانب الله- تعالى- وفسَّره هنا" بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوه بالعظيمة"(٣)؛ ولذلك لم يذكرا متعلق يطغى تأدبا مع الله تعالى.

وتقديم الإفراط" يفرط" على الطغيان" أو أن يطغى" تدرج في الإعذار،

---

(١)- ذكر السمرقندي أنه:" كان هذا القول من موسى وهارون حين رجع موسى إلى مصر، وأوحى الله تعالى إليهما فقالا عند ذلك: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾وقال بعضهم: قد قال الله ﷻ ذلك لموسى عند طور سيناء، فأجابه موسى عن نفسه وعن هارون، فأضاف القول إليهما جميعاً"، تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٤٠١).

(٢)- ذكر ابن عطية أن معنى "يفرط" يشتط في إذايتنا، وقرأ ابن محيصن «يفرط» بضم الياء وفتح الراء ومعناها أن يحمله حامل على التسرع إلينا". تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦).

(٣)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٦٦).

وتأخير لما هو أقوى وأشفع في قبول العذر، وهذا شأن المعتذر، يقول الإمام الرازي-رحمه الله-:" واعلم أن من أمر بشيء فحاول دفعه بأعذار يذكرها فلا بد وأن يختم كلامه بما هو الأقوى، وهذا كما أن الهدهد ختم عذره بقوله:﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾[النمل: ٢٤]، فكذا هاهنا بدأ موسى بقوله: أن يفرط علينا، وختم بقوله: أو أن يطغى لما أن طغيانه في حق الله- تعالى- أعظم من إفراطه في حق موسى وهارون- عليهما السلام-"(١).

وذكر الإمام القشيري أنه قيل أنهما:" لم يخافا على نفسيهما شفقة عليهما، ولكن قالا: إننا نخاف أن تحل بنا مكيدة من جهته، فلا يحصل فيما تأمرنا به قيام بأمرك، فكان ذلك الخوف لأجل حقّ الله لا لأجل حظوظ أنفسهما.

ويقال لم يخافا من فرعون، ولكن خافا من تسليط الله إياه عليهما، ولكنهما تأدّبا في الخطاب"(٢).

وذكر السمعاني أنه:" حكي عن سعيد بن جبير أنه قال: كان موسى يخاف من فرعون خوفا شديدا، وكان إذا دخل عليه، يقول: اللهم إني أعوذ بك من شره، وأدرأك في نحره، فخوَّل الله- تعالى- ذلك الخوف إلى فرعون، فكان إذا رأى موسى بال في ثيابه كما يبول الحمار"(٣).

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل التعلُّل بالخوف هنا يدل على المعصية؟،وقد أجاب عن ذلك الإمام الرازي-رحمه الله- فقال:" لو اقتضى

---

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٥٤).

(٢)- لطائف الإشارات = تفسير القشيري (٢/ ٤٦٠).

(٣)- تفسير السمعاني (٣/ ٣٣٢).

الأمر( الذهاب إلى فرعون)على الفور لكان ذلك من أقوى الدلائل على المعصية، لا سيما وقد أكثر الله- تعالى- من أنواع التشريف وتقوية القلب وإزالة الغم، ولكن ليس الأمر على الفور فزال السؤال، وهذا من أقوى الدلائل على أن الأمر لا يقتضي الفور إذا ضممت إليه ما يدل على أن المعصية غير جائزة على الرسل"(١).

كما أنه" كان من موجبات الفطرة أن يعتريهما الخوف، فقد كان جبارا في الأرض ليس فوقه في قومه من يرد كيده، ويزيل طغيانه"(٢)، كما أنه" كان اسم فرعون في هذا الوقت يُلقي الرعب في النفوس"(٣)، فخوفهما في مثل هذا الموقف أمر طبعي لأنهما بشر وليس فيه ما يدل على المعصية، كما أن خوفهما لم يكن على أنفسهما كما ذكرت.

**الثاني**- قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(طه: ٤٦) إنه التطمين والتأنيس لهما، فقد جاءت هذه الآية بعدما أظهرا خوفهما لتسكب في هذه القلوب المرتعدة جرعة الاطمئنان والأمان، واجتثاث جذور الخوف منها.

وقد فصلت هذه الجملة عما قبلها للاستئناف البياني، حيث أثار اعترافهما بالخوف بين يدي ربهما- سبحانه- سؤالا مفاده: فماذا قال ربهما لهما؟ فيأتي الجواب:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ ولا يخفى ما فيه من اختصار وإيجاز بحذف السؤال لأنه معلوم في مثل هذه المقامات،

---

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٥٤).
(٢)- زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٣٢).
(٣)- تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٨٨٦).

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني-رحمه الله-:" واعلم أن الذى تراه في التنزيل من لفظ "قال" مفصولا غير معطوف، هذا هو التقدير فيه، والله أعلم. أعني مثل قوله تعالى:﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٢٨﴾ [سورة الذاريات:٢٤-٢٨]، جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال. فلما كان في العرف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: "دخل قوم على فلان فقالوا كذا"، أخرج الكلام ذلك المخرج، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللطف معهم المسلك الذي يسلكونه"(١).

والنهي في قوله تعالى:" لا تخافا" خرج عن معناه إلى التطمين والإيناس لهما، ومما يبالغ في تطمينهما وإزالة خوفهما إيراد النهي معللا﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾أي إنني في صحبتكما أسمع قوله إذا هدد وأنذر، وأبصر فعله إن حاول سوءا أو أنزل بكما أذى، وإن هذا تبشير بأنه إن حاول أن يبطش بهما نزلت به البطشة الكبرى من رب العالمين"(٢)، فعدم الخوف لأن الله معهما، يسمع كلامهم، ويرى ما سيجري بينهم وبينه، وسيعينهم عليه، فَمَن معه ربه كيف يخاف، وكيف يهاب؟!

وهذه الجملة تذييل تعليلي للنهي عن الخوف، إذ كيف لا يخافا وهما

(١)- دلائل الإعجاز ت شاكر (١/ ٢٤٠)، مطبعة المدني- القاهرة، ط٣، ١٤١٣ç/ ١٩٩٢م.

(٢)- زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٣١).

متوجهان إلى أكبر طاغية عرفها التاريخ، وأسهل شيء عنده أرواح البشر، هذا فضلا عما بينه وبين موسى من سابقة قتل القبطي، كل هذه بواعث للخوف تثير في النفس السؤال السابق؛ لذلك جاء هذا التذييل مبينا لهم العلة في النهي عن الخوف وهي أن الله معهما.

وقد فصل عما قبله للاستئناف البياني أيضا، إذ هو في منزلة الجواب عن السؤال المقدَّر السابق، ولا يخفى ما فيه من إيجاز بحذف السؤال؛ إذ المقام لا يسمح بالإطناب؛ فالحديث الإلهي هنا موجه لخائفَيْن مرتعديْن، فلا يتناسب مع حالهما إطالة الكلام، وإنما الأنسب لهما الاختصار والإسراع بما يبث الطمأنينة في نفوسهما بعد النهي مباشرة.

وتأكيد التعليل بـ" إن" واسمية الجملة زيادة في تطمينهما وبث السكينة في نفوسهما، وتناسب معه التعبير بالمعية" معكما" وما يدل عليه من ملازمة، ثم التناسب بين السمع والرؤية لتأكيد شمول الإحاطة، وأنه لن يقدر أحد مهما بلغ من الجبروت والطغيان أن يتعرض لهما ما دام الله تعالى معهما.

وقوله تعالى﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ تتميم يؤكد المعنى؛ إذ المعية وحدها كافية لتطمينهما، ومن مستلزماتها السمع والرؤية، لكنه- سبحانه- ذكر الفعلين لزيادة التطمين والإيناس لهما؛ وهذا أقوي في إزالة خوفهما، كما أنهما كناية عن العلم التام وهذا مما يزيدهما طمأنينة.

واختصاص السمع والرؤية؛ لما يشتملان عليه من إحاطة العلم" لأن الحركة إما قول يُسمع، أو فعل يُرى"(١)، وهذه مبالغة في زيادة الاطمئنان والتثبيت.

---

(١)- تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٢٨٠).

ومما تجدر الإشارة إليه أن المولى- سبحانه- هنا طمأنهما وردَّ على خوفهما بقوله:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، وفي سورة الشعراء كان الردّ﴿ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ ﴾(الشعراء: ١٤-١٥)، وقد ناسب كل منهما سياقه، ففي سورة طه هنا لما كان الأسلوب هادئا بعض الشيء؛ حيث أمرهما ربهما بدعوته باللين والتلطف، وأن يقولا له إنا رسولا ربك، وأن يطلبا منه إطلاق سراح بني إسرائيل واستعطافه ألا يعذبهم﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ ﴾، وإظهار الدلائل التي تثبت أنهما رسولين من رب العالمين، ناسب ذلك أن يكون الرد هادئا بعض الشيء أيضا" لا تخافا" والتعبير بصيغة الإفراد" إنني معكما أسمع وأرى"، أما في سورة الشعراء فسياقها قوي شديد الوقع؛ حيث وصف قوم فرعون بالقوم الظالمين، وبعدم الخوف والتقوى فناسب ذلك أن يكون الرد بالنهي عن الخوف قويا مرعبا متضمنا في أداة الردع" كلا" ومعناها" لا تخافا"،" أي كلا لن يقتلوك. فهو ردع وزجر عن هذا الظن، وأمر بالثقة بالله- تعالى-، أي ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم، فإنهم لا يقدرون على قتلك ولا يقوون عليه"(١)، تآزر معه التعبير بالجمع" إنا معكم مستمعون"، وأن يكون طلبهما الإفراج عن بني إسرائيل دون استعطاف بعدم تعذيبهم﴿ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾(الشعراء: ١٧)، فناسب كل من التعبيرين سياقه ومقامه.

*****

(١)- تفسير القرطبي (١٣/ ٩٢ /٩٣).

## المبحث السادس

## خوف سيدنا موسى-عليه السلام- عند مواجهة السحرة

**توطئة:**

ذُكر مشهد مواجهة سيدنا موسى-عليه السلام- مع السحرة في ثلاثة مواضع في الذكر الحكيم: في سورة الأعراف الآيات:١٠٤-١٢٦، وفي سورة طه الآيات: ٥٦- ٧٣؛ وفي سورة الشعراء الآيات: ٣٢-٥١، ولم يذكر الخوف في سورة الشعراء لا صراحة ولا تلميحا، حيث ركزت على جوانب أخرى في هذا المشهد، وعرضت الأحداث عرضا سريعا، وقد اتضح ذلك من خلال استعمال حرف العطف" الفاء" في معظم الأحداث، ولم تقف عند لقطة الخوف في هذا المشهد، ولكنه ذكر في سورتي الأعراف وطه، ففي سورة طه تحدث القرآن الكريم عن خوف سيدنا موسى-عليه السلام- في هذا المشهد، وتطمين الله- تعالى- له، وفي سورة الأعراف ألمح القرآن الكريم إلى خوف الناس الذين طُلب منهم حضور هذه المباراة، وشهود هذا التحدي؛ لذا ستقتصر الدراسة على ما ذكر في سورتي طه والأعراف؛ نظرا لذكر الخوف فيهما، وذلك على النحو التالي:

قال تعالى في سورة طه:﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾

(طه: ٥٦- ٧٣).

تحكي هذه الآيات الكريمة اتهام فرعون- عليه اللعنة- لموسى-عليه السلام- بالسحر لما رأى العصا تنقلب حية تسعى، واليد تصبح بيضاء من غير سوء، ويطلب الطاغية من موسى-عليه السلام- ضرب موعد للنزال والتحدي؛ ليُحضر فرعون كبار سحرته، ويجعلوا موسى عبرة أمام الناس جميعا، فيختار موسى-عليه السلام- ضُحى يوم عيد؛ حيث يتجمع الناس، ويأتي فرعون بكبار سحرته، فيلقون حبالهم وعصيهم ويعملون سحرهم فيخيلون لموسى والحاضرين أنها تسعى في صورة مخيفة حتى إن موسى نفسه خاف لولا أن أدركته العناية الإلهية، وأمرته بإلقاء عصاه التي ابتلعت حبالهم وعصيهم، فكان السحرة أول الساجدين المؤمنين بموسى-عليه السلام- فيتوعدهم فرعون بالتقطيع والتصليب فلا يبالون بذلك معلنين توبتهموتخليهم عنه، وإيمانهم برب العالمين رب هارون وموسى؛ لأنه وحده الحقيق بالخيرية والبقاء.

**وقد ورد ذكر الخوف هنا في موضعين:**

الأول- قوله تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ چيعني: أضمر في قلبه الخوفلما رأى ما ألقوا من الحبال والعصيّ وخيل إليه أنها تسعى بعد أن سحروا عينه وأعين الناس، وقال في نفسه: " والله إن كانت لعصيا في أيديهم، ولقد عادت حيات، وما تعدو عصاي هذه، أو كما حدّث نفسه"(١).

وذكر معظم المفسرين في تعليل خوف سيدنا موسى-عليه السلام- هنا وجهين: " **أحدهما:** أنه خوف البشرية، **والآخر:** خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا، ويقال: خاف على قومه أن يشكوا، فيرجعوا عن الإيمان"(٢)، ويبدو لي- والله أعلم- أنه لا مانع من الجمع بين الوجهين فهو خوف تقتضيه الطبيعة البشرية في مثل هذا الموقف؛ بدلالة سبقه بقوله تعالى ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾، فيكون-عليه السلام- قد خاف على نفسه لما خُيِّل إليه أنها تسعى، وفي الوقت نفسه خاف على قومه أن يفتنوا بذلك؛ فيرجعوا عن الإيمان؛ بدلالة تطمين الله تعالى له في الآية التالية ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾.

وقد ذكر الإمام الرازي-رحمه الله- كلاما طيبا في هذه المسألة استعرض فيه الوجهين السابقين وزاد عليهما وجوها أخرى حيث قال:" فإن قيل: إنه لا مزيد في إزالة الخوف على ما فعله الله تعالى في حق موسى عليه السلام فإنه كلَّمه أولا وعرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد، ثم إنه- تعالى-

---

(١)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٣٣٩).

(٢)- تفسير السمعاني (٣/ ٣٤١).

صيرها كما كانت بعد أن كانت كأعظم ثعبان، ثم إنه أعطاه الاقتراحات الثمانية وذكر ما أعطاه قبل ذلك من المنن الثمانية ثم قال له بعد ذلك كله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[طه: ٤٦] فمع هذه المقدمات الكثيرة كيف وقع الخوف في قلبه؟ والجواب عنه من وجوه.

**أحدها:** أن ذلك الخوف إنما كان لما طبعالآدمي عليه من ضعف القلب، وإن كان قد علم موسى-عليه السلام- أنهم لا يصلون إليه، وأن الله ناصره وهذا قول الحسن.

**وثانيها:** أنه خاف أن تدخل على الناس شبهة فيما يرونه فيظنوا أنهم قد ساووا موسى-عليه السلام- ويشتبه ذلك عليهم وهذا التأويل متأكد بقوله: لا تخف إنك أنت الأعلى وهذا قول مقاتل.

**وثالثها:** أنه خاف حيث بدءوا وتأخر إلقاؤه أن ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يلقيه فيدوموا على اعتقاد الباطل.

**ورابعها:** لعله-عليه السلام- كان مأمورا بأن لا يفعل شيئا إلا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الوقت فيبقى في الخجالة.

**وخامسها:** لعله-عليه السلام- خاف من أنه لو أبطل سحر أولئك الحاضرين فلعل فرعون قد أعد أقواما آخرين فيأتيه بهم فيحتاج مرة أخرى إلى إبطال سحرهم وهكذا من غير أن يظهر له مقطع وحينئذ لا يتم الأمر ولا يحصل المقصود"(١)، وأيا ما كان الخوف فإنه في النهاية خوف على عدم تبليغ الدعوة على الوجه الأكمل؛ فموسى-عليه السلام- حتى لو خاف على نفسه، فدافعه

(١)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ٧٣، ٧٤).

أنه الموصل للدعوة، فهلاكه أو أذاه إنما هو إعاقة لها، فلا تصل على الوجه الأكمل.

وإيجاس الخوف معناه:" إضمار شيء منه، وكذلك توجس الصوت: تسمع نبأة يسيرة منه"(١)، فأوجس" عبارة عما يعتري نفس الإنسان إذا وقع ظنه في أمر على شيء يسوؤه"(٢).

وكلمة"أوجس" كلمة معبرة عن شدة الخوف الداخلي لسيدنا موسى- عليه السلام- في هذه المنازلة الفاصلة بين الحق الذي عليه سيدنا موسى والباطل الذي عليه فرعون وسحرته، يقول الراغب-رحمه الله-:" الوَجْس: الصّوت الخفيّ، والتَّوَجُّس:التّسمّع، والإيجاس: وجود ذلك في النّفس....فالوَجْس قالوا: هو حالة تحصل من النّفس بعد الهاجس، لأنّ الهاجس مبتدأ التّفكير، ثم يكون الواجس الخاطر"(٣).

وتقييده بالجار والمجرور" في نفسه" للإشارة إلى أنها خيفة تفكر لم يظهر أثرها على ملامحه"(٤)؛ حتى لا يتيح لعدوه فرصة استشعار النصر حين يرى خصمه خائفا؛ ولهذا السبب أيضا قدمه على المفعول" خيفة"، وأخر المسند إليه" موسى" تشويقا.

---

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٧٤).
(٢)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥١).
(٣)- المفردات في غريب القرآن -وجس- (ص: ٨٥٥).
(٤)- التحرير والتنوير (١٦/ ٢٥٩).

الثاني- قوله تعالى:﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾، أي: أنت المستعلي عليهم بالظفر والغلبة، وإسناد القول إلى نون العظمة تأكيد للغلبة والظفر، والجملة تطمين لسيدنا موسى-عليه السلام- عن طريق النهي" لا تخف" وتأكيده بالتعليل ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾وتعليل النهي عن الخوف مطرد في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- كما هو واضح في معظم المواطن وذلك للمبالغة في التطمين، مما يبرز عناية الله- تعالى- لنبيه وكليمه في كل المواقف والشدائد التي تعرَّض لها، وما له من منزلة عند ربه، وفي هذا مزيد تسلية وتثبيت لنبينا-ﷺ-.

وأكد التعليل هنا بعدة تأكيدات قوية منها: التأكيد بـ" إنَّ" وهي" تكثر عقب الأوامر والنواهي التي يحتاج تنفيذها إلى كلفة ومشقة، فكان ما فيها من مصادرة النفس، ومغالبة الهوى، والتثاقل في أدائها بحاجة إلى ما في حرف التوكيد من الإلهاب والتهييج"(١)، وكذلك التوكيد بتكرار الضميرهنا في قوله "إنك أنت الأعلى" لزيادة التطمين، وهذا التأكيد على هذه الدرجة العالية" أنفى للخوف من قلب موسى، وأثبت للغلبة والقهر ولو قال: لا تخف إنك الأعلى لم يكن له من التقرير والإثبات لنفي الخوف ما لقوله ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾(٢).

وهو أسلوب قصر قوي يؤكد انفراده –عليه السلام- بالأعلوية مبالغة في تطمينه.

---

(١)- من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ( الفاء، وثم) د/ محمد الأمين الخضري، ١١٣، مكتبة وهبة.

(٢)- إعراب القرآن وبيانه (٦/ ٢١٥).

وأفعل التفضيل" الأعلى" هنا ليس على بابه؛ لأنهم لَا علو عندهم في الحقيقة، وإنما المراد" أنك أنت الغالب على فرعون وملئه، وأنت المسيطر في الجولة، ومعك سلاح الغلب والسلطان، وهو المعجزة التي في يمينك"(١).

وإيثار التعبير بلفظ الأعلى دون الغالب للإشارة إلى أن الغلبة ثابتة له من جهة العلو،ففي الأعلى زيادة وهي كونها صادرة عن قوة عالية مسيطرة لا يمكن لأحد دفعها، وهذا أبلغ في التطمين والإيناس.

وتزداد المبالغة في التطمين من خلال عدم تقييد الغلبة والعلو بشيء، ومجيء التعبير عاما، فلم يقل: إنك أنت الأعلى عليهم، ليثبت له الغلبة المطلقة، وهو ما يزيد الطمأنينة في نفس موسى-عليه السلام- ويملأ نفسه قوة وتماسكا في هذا الموقف.

وإذا كانت سورة طه هنا قد ذكرت خوف سيدنا موسى-عليه السلام- في هذه المواجهة كما وضحنا، فإنها لم تشر إلى خوف الناس الحاضرين في هذا الموقف تاركة ذلك لسورة الأعراف التي أشارت إلى خوفهم في لمحة خاطفة اشتملت عليها الآية الكريمة: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾(الأعراف: ١١٦).

وقد ذكر الخوف هنا مدلولا عليه بلفظ الإرهاب، في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ذكر السمين الحلبي-رحمه الله- أنه:" يجوزُ أَنْ يكونَ استفعل فيه بمعنى أفعل، أي: أرهبوهم، وهو قريبٌ مِنْ قولهم: قرَّ واستقرَّ وعَظَّم واستعظم وهذا رأي المبرد، ويجوز أن تكون السينُ على بابها أي: استدعوا

(١)- زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٤٩).

رهبةَ الناس منهم، وهو رأي الزجاج"(١)، وعلى الأول يكون المعنى: أخافوهم بما سحروا في أعينهم، حتى ظنوا أن العصيّ والحبال حيَّات فامتلؤا خوفا وهذا قول معظم المفسرين(٢)، وبناء عليه تكون السين والتاء للتأكيد(٣)، ورجح السمين الرأي الثاني حيث ذكر في موضع آخر أن معنى" استرهبوهم" حملوهم على أن يرهبوا"(٤).

ونقل الطبري عن السدي أن معناها: فرَّقوهم(٥)، وهو لا يبعد حيث يدل التفرق على شدةالخوف الذي اضطرهم إلى التفرق؛ مما يزيد درجة الخوف عند سيدنا موسى-عليه السلام- حيث يرى الناس قد انصرفوا قبل إتمام المواجهة حين رأوا سحر السحرة، ويؤيده أن القرآن الكريم أشار إلى إيمان السحرة فقط وسجودهم بعد أن رأوا معجزة سيدنا موسى-عليه السلام- تتفوق على سحرهم، فلو كان الناس بمحضر منهم لآمنوا أيضا، ولأشار القرآن إلى ذلك.

وذكر السمعاني معنى طيبا- موافقا لما ذكره الزمخشري- أراه جديرا

---

(١)- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٥/ ٤١٦).

(٢)- ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٣/ ٢٧)،وتفسير السمرقندي = بحر العلوم (١/ ٥٣٩)،و تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٤٠).

(٣)-ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٤٨).

(٤)- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي،(٢/ ١١٦).

(٥)-ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٣/ ٢٨).

بالقبول والتقدم وهو أن:" السحرة طلبوا رهبة الناس؛ فرهبوهم"(١)، ويؤيده ما نقله الرازي-رحمه الله- عن الزجاج أنهم:" استدعوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك بأن بعثوا جماعة ينادون عند إلقاء ذلك: أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب"(٢)، وقول البقاعي- رحمه الله-:أنهم" بعثوا جماعة ينادون: أيها الناس احذروا {واسترهبوهم} أي وأوجدوا رهبتهم إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب"(٣)،ساعده التعبير بالصيغة الدالة على الطلب، أي أنهم طلبوا منهم أن يتظاهروا بالخوف والرهبةويتصنَّعوهما حتى ينطلي سحرهم على سيدنا موسى-عليه السلام- ظنا منهم أنه سيخاف مثل بقية الناس ويتزلزل فتكون لهم الغلبة والظفر.

ولا شك أن موقفا كهذا يتطلب إعدادا على وجه مخصوص؛ حيث سيُستدعى له سحرة معينون، وناس مخصوصون مقربون منهم يمتثلون لكل ما يُطلب منهم، ولا يستبعد أن تعقد لهم دورة قبل المواجهة؛ يستعرضون فيها دور كل منهم في هذه المواجهة القوية، وما يجب عليه القيام به، كذلك من متطلبات الإعداد اختيار أقوى أنواع السحر؛ لذا استحق الوصف بالعظم ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾؛ لكثرته، ولا شك أنهم أخذوا بكل هذه الأسباب ظنا منهم أنها توصلهم لمرادهم وهو الغلبة والنصر في هذا الموقف، فأَصْلُ الِاسْتِرْهَابِ" محاولة الإرهاب وطلب وقوعه بأسبابه، وقد قصدوا

---

(١)- تفسير السمعاني (٢/ ٢٠٤). وينظر أيضا: تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ١٤٠).

(٢)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤/ ٣٣٥).

(٣)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٢٧).

ذلك فحصل وجاءوا بسحر عظيم"(١).

وتآزر معه التعبير بلفظ الناس وما يدل عليه من نوَس واضطراب(٢)، أي أنهم لن يختاروا لذلك إلا أناسا مضطربين يدخل عليهم ما يرونه من سحر.

وإيثار التعبير بصيغة الرهبة دون الخوف للدلالة على المبالغة في إظهار الخوف، والقوة في التظاهر به ليكون أدخل للخوف في نفس موسى-عليه السلام- فالخوف قد يكون داخليا فقط ولا تظهر آثاره على الخائف ظاهريا كما وصف القرآن الكريم خوف سيدنا موسى-عليه السلام- في هذا المشهد أنه في نفسه، أما الرهبة فتتطلب أن تظهر آثار الخوف على الخائف فتصيبه بالارتباك والجزع ولذلك آثرها الذكر الحكيم هنا على الخوف- والله أعلم-.

وبهذا تحدث القرآن الكريم عن الخوف في هذا المشهد مرتين: إحداهما في سورة طه، وقد ذكر فيها خوف سيدنا موسى-عليه السلام- ،وأنه كان خوفا حقيقيا كتمه في نفسه، ولم يظهره لأعدائه حتى لا يستشعروا النصر ولو للحظة واحدة، والثانية كانت حديثا عن تصنُّع الناس الذين جمعهم فرعون لحضور المباراة والتحدي- على أرجح الآراء- وقد كان باعث ذلك الخوف إرباك سيدنا موسى-عليه السلام- وزعزعة استقراره في هذا الموقف العصيب كما ذكرت سورة الأعراف، واقتضى ذلك أن يُذكر لفظ الخوف صراحة كما في الحديث عن خوف سيدنا موسى-عليه السلام- في سورة طه، وأن يُعبر عنه بلفظ الرهبة كما في الحديث عن خوف الناس في سورة الأعراف.

---

(١)-تفسير المنار (٩/ ٥٨).

(٢)- ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب- نوس- (ص: ٨٢٨).

وبهذا سلطت كل من السورتين الضوء على جانب معين غير الذي تحدثت عنه الأخرى في المشهد الواحد؛ مما يبرز تكامل السور في نقل المشاهد كاملة دون تكرار- والله أعلم-.

******

ض

## المبحث السابع

## خوف فرعون- عليه اللعنة-

لقد ادعى فرعون -عليه اللعنة- الخوف على قومه من موسى -عليه السلام- مظهرا حرصه عليهم، طالبا منهم أن يتركوه -إن كانوا يملكون له شيئا- ليقتل موسى.

وقد صرَّح القرآن الكريم بخوف فرعون- عليه اللعنة- في موقف فريد في سورة غافر حيث قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾(غافر: ٢٣ - ٢٧).

تتحدث هذه الآيات عن موقف فرعون وحاشيته المتجبرين من رسالة موسى-عليه السلام-، وتهديده له ولمن آمن معه، خاصة بعد أن انتصر عليهم في مواجهة سحرهم، وإيمان السحرة به، وقرار فرعون الانتقام منهم، بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، وعزم فرعون على قتل موسى-عليه السلام-؛ لما يرى في دعوته التي جاء بها من تغيير لدينهم وفسادهم.

وموطن الخوف هنا قوله- تعالى- على لسان فرعون مدَّعيا النصح لقومه﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾، أي: أخاف أن يبدل عبادتكم لي، وقد قالها تسويغا وتعليلا لعزمه على قتل موسى-

عليه السلام-.

**وقد علّق الخوف هنا بأمرين:**

**الأول**- الخوف من تبديل دينهم وعبادتهم له.

**الثاني**- أن يتمكن موسى منهم فيقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم كما فعلوا بأتباعه.

ويظهر خبث فرعون- عليه اللعنة- في تعليق خوفه بالأمرين معا؛ لاستثارتهم جميعا إلى قتل موسى-عليه السلام- وإقناعهم بذلك؛ إذ لو اقتصر على الخوف من تبديل الدين فقط فربما أن هذا الأمر لا يعني بعضهم، ويمكن أن يكون منهم من يأنف ذل الاستعباد الذي يعيش فيه مع فرعون، فيرى في ظهور موسى على فرعون فرصة للتخلص من هذا الظلم، فيخاطب فرعون هذا الصنف قائلا: إذا كنت لا تخاف على تبديل الدين فعليك أن تخاف على أولادك وأهلك، فـ" كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه، أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه"(١).

وفُصلت جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ عما قبلها للاستئناف البياني، وأُكدت بـ" إنَّ" واسمية الجملة لتأكيد خوفه من موسى-عليه السلام-، وهلعه من أن ينال من مكانته وما هو فيه من تجبر وطغيان.

والتعبير بالمصدر المؤول"ي" إشعار بتجدد خوفه من تبديل الدين، وإزالة ملكه مما يجعله حريصا على قتله، ساعده التشديد في الفعل﴿يُبَدِّلَ﴾.

وتقديم تبديل الدين على إظهار الفساد لأهميته عنده، فخوفه الأكبر أن يزول سلطانه، وتقل هيمنته ونفوذه.

---

(١) - تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٦١)-

ذكر السمرقندي أن معنى قوله تعالى:﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ يعني: عبادتكم إياي. ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾يعني: الدعاء إلى غير عبادتي"(١)، وعلى هذا فمعنى الجملتين واحد، وهما تأكيد لخوفه على سلطانه ومكانته فقط.

وعلل الرازي-رحمه الله- تقديم الخوف من تبديل الدين بأنه" لما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: إني أخاف أن يبدل دينكم ثم أتبعه بذكر فساد الدنيا فقال: أو أن يظهر في الأرض الفساد"(٢).

وإضافة الدين المخوف على تبديله إلى ضميرهم﴿دِينَكُمۡ﴾ استنهاض لهممهم، واستجاشة لمشاعرهم للتخلص من موسى-عليه السلام- فهذا دينكم أنتم، وأنتم أحرص الناس على حمايته والدفاع عنه، وكأنه يريد لكلامه أن ينطلي عليهم فيخيل إليهم أن عبادتهم له هو اختيار اختاروه بمحض إرادتهم وعليهم الذود عنه؛ مما يبرز شدة خبثه ومكره.

والحقيقة أن خوف فرعون في هذه الآيات ليس مقتصرا على الجانب القولي فقط؛ وإنما تضمن السياق بعض الدلالات الأخرى التي تثبت شدة خوفه كقتل الأولاد واستحياء النساء، وأيضا طلبه من حاشيته أن يتركوه يقتل موسى، وما كان لأحد أن يقدر على منعه من شيء يريده!! فلفظة" ذروني ليست من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم"(٣)،

(١)- تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/ ٢٠٣).
(٢)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٧/ ٥٠٧).
(٣)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٥٥).

والحقيقة أنهم لم يمنعوه من قتله وإنما كانوا يستحثونه على ذلك بدلالة قوله- تعالى- في سورة الأعراف:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾(الأعراف:١٢٧)، فهم كانوا يحرِّضونه على قتله والنيل منه، كل هذه دلائل على شدة الخوف تضامنت مع الجانب القولي، وبهذا تكاتف المقال مع الحال في إثبات شدة خوف فرعون- عليه اللعنة-.

يقول الزمخشري-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه، وكان قوله ذروني أقتل موسى تمويها على قومه، وإيهاما أنهم هم الذين يكفونه، وما كان يكفه إلا ما في نفسه من هول الفزع"(١)، وحتى لو كان له ممانعين يمنعونه عن القتل كما ذكر بعض المفسرين(٢)، فهم لا يملكون فرض إرادتهم عليه.

واستعارة ظهور الفساد لانتشاره إشارة إلى كثرته حتى يتضح لكل راء،

---

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٦١).

(٢)- ذكر الزمخشري أن قوله:" ذروني أقتل موسى كانوا إذا هم بقتله كفوه بقولهم: ليس بالذي تخافه، وهو أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة، ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله، ويقولون: إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة، والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي، وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر، ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة، وكان قتالا سفاكا الدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه، ولكنه كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك". تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ١٦٠).

وهو ما يساعد في إبراز تخييل شدة خوفه عليهم، وشفقته بهم، تليينا لقلوبهم لمساعدته على التخلص من موسى-عليه السلام-.

وبالتأمل يتضح أن خوف فرعون هنا كان خوفا حقيقيا لم يستطع مغالبته وإخفاءه، وإنما بدا في أفعاله وأقواله بعد أن رأى هو وأتباعه ما عليه موسى-عليه السلام- من الحق والصدق، فتزلزل كيانه، وضعفت هيبته حتى في نفوس متبعيه، مما حدا بهم أن يظهروا له الرفض والإنكار، وهذا ما تبينه هذه الدراسة في المبحث التالي.

*****

ض

## المبحث الثامن

## خوف مؤمن آل فرعون

كان من أتباع فرعون- عليه اللعنة- من يُظهر اتباعه له خوفا منه ومن بطشه، وما إن سنحت الفرصة حين بدا تزلزل عرش فرعون، واهتزت مكانته بعد انهزام سحرته أمام موسى-عليه السلام- وإيمانهم به، وتملك الخوف فرعون فصرَّح به كما في المبحث السابق، ما إن وجد مثل هذا الفرصة سانحة حتى أفصح عن إيمانه بموسى-عليه السلام-، ووقف مدافعا عنه وعن دعوته، ناصحا قومه باتباعه، مظهرا له خوفه عليهم، وقد جاء ذلك في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾(غافر: ٢٨ – ٣٣).

والآيات تتحدث عن رجل مؤمن من آل فرعون(١) كان يتبعه خوفا

(١)- وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ وهو حزبيل بن ميخائيل، هو ابن عم قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن فرعون يَكْتُمُ إِيمانَهُ، وكان قد أسلم سراً من فرعون. تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٣/

منه، وتذكر دفاعه عن موسى-عليه السلام- حين توعده فرعون وقومه بالقتل بعد أن ظهرت قوة حجته، ورد فرعون عليه بأنه لا رأي إلا ما يراه هو لهم، فهو وحده الذي يعرف طريق الخير لهم، فلا يبالي الرجل بقوله ويتجه إلى قومه مخوفا محذرا من انتقام الله منهم كما انتقم من سابقيهم ممن كذبوا الرسل.

وقد ذكر الخوف هنا في ثلاثة مواضع:

الأول: في وصف المؤمن بـ (يكتم إيمانه) كناية عن خوفه من أذى يلحقه لو ظهر إيمانه بموسى -عليه السلام-. والتعبير به مضارعا يدل على تجدد هذا الكتمان منه كلما تصدى لنصح قومه وإرشادهم.

الثاني: تخويف دنيوي تحقق في سابقيهم وهم يعرفونه جيدا، وذلك قوله تعالى على لسان المؤمن﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾، والمعنى:" يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرّئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم"(١).

وتبدو روعة التحذير هنا في استخدام التشبيه سدون التعبير المباشر، فلم يقل: إني أخاف عليكم عقاب الله لكم، وانتقامه منكم، وإنما عرض لهم مشهدا مصوَّرا لما حدث لسابقيهم من الأقوام المكذبة للرسل، وهذا أبلغ في التخويف والتحذير.

---

٢٠٤). وسورة غافر تسمى سورة المؤمن أيضا تكريما له. ينظر: التحرير والتنوير:١٢/٥٤.

(١)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢١/ ٣٧٨).

وتآزر مع التشبيه في إبراز المعنى التفصيل بعد الإجمال؛ حيث عرض ما حدث للأمم السابقة مجملا أولا ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾، وهذا إجمال تفصيله ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، وبهذا عرض المعنى في صورتين، ولا شك أن هذا أبلغ في التخويف والتحذير.

**وقد استعمل السياق عدة ألوان بلاغية ساعدت على المبالغة في التخويف لهم منها:**

- تعريف المسند إليه بالموصولية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، للتوصل بصلته إلى وجه الخوف عليهم وهو الإيمان، فلولاه ما خاف عليهم ولا وقف منهم موقف الناصح المخوِّف.
- النداء الحاني المتودد ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ توددا إليهم، وشفقة عليهم فهم قومه، وحقهم عليه أن يخاف عليهم ويرشدهم لما فيه نجاتهم.
- التأكيد القوي ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾ مؤكدا بـ" إنَّ" واسمية الجملة؛ لتأكيد خوفه عليهم، واهتمامه بشأنهم.
- تعليق الخوف بكونه عليهم لا على غيرهم، فهم الذين يعنونه، ويخاف عليهم.
- أيضا التشبيه والتفصيل بعد الإجمال كما تقدم.
- تذييل الآية بقوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾؛ ليعلمهم بأن ما سيلحق بهم هم السبب فيه بعدم استجابتهم وإصرارهم على اتباع فرعون، والوقوف في وجه موسى -عليه السلام- ودعوته، فالله-تعالى- لا يظلم أحدا.
- كل هذه الألوان تآزرت في إبراز قوة التخويف لهم، وفي الوقت

نفسه استمالة قلوبهم؛ ليدفعهم إلى اتباع موسى-عليه السلام- بعدما جاءهم بالبينات من ربهم.

الثالث: تخويف أخروي مما سيحدث لهم يوم القيامة، وذلك قوله تعالى على لسانه أيضا﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ وهو تخويف على النهج نفسه الذي جاء عليه التخويف السابق غير أن التخويف السابق اعتمد على إبراز المعني في صورة التفصيل بعد الإجمال، وهنا جاء المعنى أيضا في صوة الإيضاح بعد الإبهام، حيث جاء قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ مبهما ما سيحدث لهم في هذا اليوم العصيب، فتأتي الآية التالية موضحة ذلك كاشفة له ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾، فعُرض المعنى أيضا في صورتين تأكيدا للتخويف، ساعده التكرار﴿تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾، ومن التأكيدية مرتين﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾، ﴿مِنْ هَادٍ﴾للمبالغة في تأكيد التخويف والتحذير.

والتعبير بيوم التناد زيادة في حسرتهم إن هم لم يتبعوا ما يرشدهم إليه؛ حيث إن معناه: يوم ينادي أهل الجنة أهل النَّارِ، وأهل النار أهل الجنة، فيرى أهل النار تنعمهم جراء اتباعهم الرسل ويقارنون بين ما هم فيه من عذاب وما فيه المؤمنون من نعيم فتشتد حسرتهم، وهذا أدعى إلى استجابتهم له واتباعهم نصيحته، وذكر الطاهر بن عاشور أنه:" من بديع البلاغة ذكر هذا الوصف لليوم في هذا المقام ليذكرهم أنه في موقفه بينهم يناديهم بـ (يا قوم) ناصحا ومريدا خلاصهم من كل نداء مفزع يوم القيامة،

وتأهيلهم لكل نداء سار فيه"(١).

وهكذا حذّر مؤمن آل فرعون قومه بأسلوب يخلط بين الشدة واللين، والغلظة والتودد؛ مما يبرز حرصه على هدايتهم، وخوفه عليهم، وقد نوَّع لهم في التخويف بين العذاب الدنيوي والعذاب الأخروي الذي سيلحقهم إن هم لم يتبعوا موسى وظلوا على ذلتهم وخوفهم من فرعون- عليه اللعنة-، وقد استعمل المؤمن في تحذيره لهم أساليب وصيغا كثيرة كان على رأسها التعبير بالخوف، حيث ورد مؤكدا في موضعين كما ذكرنا وكان أحد ألوان التحذير المهمة التي واجه بها المؤمن قومه.

*****

(١)- التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣٦).

ض

## المبحث التاسع

## خوف المؤمنين بموسى-عليه السلام-

**تقديم:**

تحدث القرآن الكريم عن خوف أتباع موسى-عليه السلام- في موضعين:

**الأول**- في سورة يونس: الآية:٨٣، حيث ذكر قوة إيمانهم بموسى في وقت كانوا فيه قلّة، وكان لفرعون وأتباعه من السطوة والغلبة ما يجعلهم ينتقمون ممن يؤمن بموسى-عليه السلام- ومع ذلك صارعوا هذه الأمواج العاتية من التكبر والطغيان وآمنوا بموسى-عليه السلام- ولم يكترثوا بوعيد فرعون وإرعاده.

**الثاني**- أشار القرآن الكريم إلى خوف أتباع موسى أيضا في موقف النجاة، وإغراق فرعون ومن معه في سورة الشعراء:٥٢-٦٨.

**مما يجعلني أستعرض الخوف في هذا السياق في مطلبين على النحو التالي:**

### المطلب الأول

### خوف أتباع موسى-عليه السلام-من فرعون وملئه

قال تعالى:﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(يونس: ٨٣).

تتحدث الآية الكريمة عن أنه لم يؤمن بموسى-عليه السلام- بعد إظهار الآيات الواضحة على صدقه ونبوته إلا نفر قليل من قومه، وكان إيمانهم متلبسا بالخوف من فرعون وملئه أن يقتلهم أو يعذبهم؛ فهو الطاغية المتجبر المفرط في الطغيان والتكبر.

وقد اختلفت أقوال المفسرين حول المقصود بالذرية هنا على أقوال

أوردها الإمام الطبري-رحمه الله- فقال:اختلف أهل التأويل في معنى الذرية في هذا الموضع، فقال بعضهم: الذرية في هذا الموضع: القليل (رواه عن قتادة عن ابن عباس)، وقال آخرون: معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل لطول الزمان، لأن الآباء ماتوا وبقي الأبناء، فقيل لهم "ذرية"، لأنهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل إليهم موسى عليه السلام (رواه عن مجاهد)، وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما آمن لموسى إلا ذرية من قوم فرعون....، منهم: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القولُ الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن "الذرية"، في هذا الموضع أريد بها ذُرّية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريّتهم، فآمن منهم من ذكر الله بموسى.

وإنما قلت: هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فَلأن تكون "الهاء"، في قوله: "من قومه"، من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ، من خبرٍ ولا نظرٍ"(١).

ويعضِّد هذا الرأي أيضا ذكر اسم فرعون صريحا في آخر الآية فلو كان المقصود ذريته لقيل:" على خوف منه"، كما يؤيده أيضا الآية التالية﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾(يونس: ٨٤، وعليه

(١)-ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥/ ١٦٣-١٦٥)، باختصار وتصرف. وأيضا: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٤٤٥).

يكون المعنى:" فما آمن لموسى في أول أمره إلا ذرية من قومه إلا طائفة من ذراري بنى إسرائيل، كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه. وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون، وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف"(١).

ومجيء التعبير على هذه الصورة﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ مشعر بقلة من آمن به-عليه السلام- في بداية دعوته.

يقول ابن عطية-رحمه الله-:" وهيئة قوله فما آمن يعطي تقليل المؤمنين به؛ لأنه نفى الإيمان ثم أوجبه للبعض ولو كان الأكثر مؤمنا لأوجب الإيمان أولا ثم نفاه عن الأقل، وعلى هذا الوجه يترجح قول ابن عباس في الذرية إنه القليل لا أنه أراد أن لفظة الذرية هي بمعنى القليل كما ظن مكي وغيره"(٢)، "وإنما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد-ﷺ-؛ لأنه كان يغتم بسبب إعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر، فبين أن له في هذا الباب بسائر الأنبياء أسوة، لأن الذي ظهر من موسى -عليه السلام- كان في الإعجاز في مرأى العين أعظم، ومع ذلك فما آمن به منهم إلا ذرية"(٣).

وقد أُكدت قلَّةُ المؤمنين به-عليه السلام- بالقصر عن طريق النفي والاستثناء؛ مبالغة في تثبيت سيدنا محمد-ﷺ- حيث آمن بموسى قليل في بداية الأمر وفي النهاية كان الظفر والنصر، فالدين الحق لا يتعامل بمنطق الكثرة، وإنما يتعامل بمنطق القوة الإيمانية.

---

(١)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٣٦٣).
(٢)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٣٦).
(٣)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٢٨٨).

والتعبير باللام ﴿ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ والأصل التعبير بالباء للدلالة على قوة إيمانهم حيث" لا يقال آمن له إلا من اتبعه مؤمنا"(١)؛ مما يشعر بكمال التصديق بكل ما جاء به موسى عليه السلام.

وتقييد الإيمان بالخوف من فرعون وملئه ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ تأكيد لقوة إيمانهم؛ حيث آمنوا مع شدة خوفهم من بطش فرعون وتجبره، وأيضا على الرغم من قلَّة عددهم.

أي: أن أولئك الذين آمنوا بموسى كانوا خائفين من فرعون جدا، لأنه كان شديد البطش، وكان قد أظهر العداوة مع موسى، فإذا علم ميل القوم إلى موسى كان يبالغ في إيذائهم، فلهذا السبب كانوا خائفين منه"(٢).

والتعبير بـ (على) يشير إلى استعلاء الخوف عليهم وتمكنه منهم، وناسبه تنكير "خوف" الذي يفيد شدة هذا الخوف.

ومما بالغ في شدة خوفهم أنه لم يكن من فرعون فقط، وإنما كان منه ومن المتكبرين منهم، ولذا عطف ملأهم على فرعون، ليؤكد شدة خوفهم، وذيلت الآية ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾ للتأكيد على ذلك.

و(على) في قوله: على خوف من فرعون بمعنى (مع) مثل" وآتى المال على حبه" أي أنهم آمنوا مع خوفهم،" وهي ظرف مستقر في موضع الحال من (ذرية) ، أي في حال خوفهم المتمكن منهم. وهذا ثناء عليهم بأنهم آمنوا ولم يصدهم عن الإيمان خوفهم من فرعون"(٣).

---

(١)- تفسير المنار (١١/ ٣٨٣).

(٢)- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧/ ٢٨٩).

(٣)- التحرير والتنوير (١١/ ٢٥٩).

وإيثار التعبير بالجار " على" دون" مع" لما يدل عليه الحرف المعبر به من تمكن الخوف منهم واستعلائه عليهم؛ لتوفر أسبابه الداعية إليه،أي" أنهم فوق الخوف يسير بهم إلى دهاليز توقُّع الآلام"(١)، ومع ذلك لم يحيدوا عن إيمانهم.

وجمع الضمير في قوله تعالى ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ مع أنه عائد إلى فرعون؛ "لأنه لما كان جبارا جمعوا ضميره تعظيما له وقيل: إن قوم فرعون سموا: بفرعون، مثل ثمود، فرجع الضمير إليهم بهذا الاعتبار، وقيل: إنه عائد على مضاف محذوف، والتقدير: على خوف من آل فرعون، وروي هذا عن الفراء. ومنع ذلك الخليل وسيبويه، فلا يجوز عندهما: قامت هند، وأنت تريد غلامها، وروي عن الأخفش أن الضمير يعود على الذرية، وقواه النحاس"(٢).

ومع أنه- سبحانه- جمع الضمير فيما سبق إلا أن الأسلوب لم يستمر على نسق واحد وإنما رجع فأفرده في قوله ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ للدلالة على اجتماع فرعون وأتباعه على الشر والتعذيب، وأنهم في الكيد لدعوة موسى-عَلَيْهِ السَّلَامُ- سواء، والدلالة أيضا على أنهم مأمورون بأمره حريصون على تنفيذ ما يأمرهم به من الانتقام لكل من يتبع موسى-عَلَيْهِ السَّلَامُ-،" فهم خافوا أن يفتنهم فرعون بالتعذيب الذي يقوم به أعوانه.....وهكذا جاء الضمير مرة جمعاً، ومرة مفرداً، ليكون كل لفظ في القرآن جاذباً لمعناه."(٣)، وهذا مما يبالغ

(١)- تفسير الشعراوي (١٠/ ٦١٤٩).

(٢)- فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٣٠).

(٣)- تفسير الشعراوي (١٠/ ٦١٥٠)، باختصار وتصرف.

في قوة إيمان أتباع موسى-عليه السلام- حيث آمنوا به وسط كل هذا الجو المشحون بالكيد والتوعد والانتقام الذي عليه فرعون وأعوانه الذين لا يقلون كيدا عنه؛ فهم جميعا على قلب رجل واحد في الانتقام.

وذكر المفسرون في معنى الفتنة ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ وجهين:" أحدهما: أن يعذبهم ، قاله ابن عباس. الثاني: أن يكرههم على استدامة ما هم عليه"(١)، وأرى أنه لا تعارض بين المعنيين؛ فهم يخافون أن يعذبهم ليكرههم على استدامة ما هم عليه خاصة وأن عدوهم طاغية قادر على أن يمارس معهم كل ألوان التعذيب، ويؤيده قول الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-:" الفتون: الابتلاء والاختبار الشديد للحمل على الشيء أو على تركه واستعمل في الاضطهاد والتعذيب للارتداد عن الدين بكثرة كما تقدم في تفسير: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(البقرة: ١٩٣) (٢).

ومما يزيد المبالغة في قوة إيمانهم أيضا التعليل المؤكَّد ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾، وهو تعليل لسبب خوفهم، ففرعون طاغية متكبر لايمكن أن يقف أمام جبروته أحد ومع ذلك آمنوا بموسى-عليه السلام-. وهي جملة حالية تبين ما كان عليه فرعون من تجبر.

ولم يقتصر التعليل هنا على جملة واحدة، وإنما جاء في جملتين تثبتان شدة الطغيان والتجبر الموسوم بهما فرعون ليكونا مهادا لإثبات بواعث الخوف الشديد الذي يمنع من الإيمان بموسى-عليه السلام- في هذا الوقت، ومع ذلك آمنوا.

---

(١)- تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٤٤٦).

(٢)-تفسير المنار (١١/ ٣٨٤).

وأكد التعليلان بـ" إنَّ" واسمية الجملة واللام " لعال- لمن المسرفين"؛ للمبالغة في إثبات تجبره وصولا إلى تأكيد قوة إيمانهم.

والتعبير بالاسم الظاهر" وإن فرعون" بعد قوله تعالى" على خوف من فرعون" إظهار في موضع الإضمار الغرض منه التحقير له، والتسفيه من هذه الأوصاف التي يتصف بها.

وعدم تقييد الأرض" لعال في الأرض" مع أن المقصود بها أرض مصر يدل على شدة طغيانه حيث لم تكن له ولاية إلا على أرض مصر؛ لزيادة المبالغة في طغيانه وتجبره فكأنه شمل الأرض كلها؛ وكل هذا مما يرتقي بالمبالغة في تأكيد قوة إيمان أتباع سيدنا موسى-عليه السلام- إلى سماوات أرحب، ودرجات أعلى.

وهكذا تحدثت الآية الكريمة عن خوف أتباع موسى-عليه السلام-، وأثبتت قوة إيمانهم، ولم يتخلَّ التعليل عن الخوف هنا كما هو في معظم المواضع في القصة.

****

## المطلب الثاني
## الخوف في مشهد الغرق

تحدث القرآن الكريم عن هذا المشهد في مواطن كثيرة، يطنب في بعضها ويعرض عرضا سريعا في بعضها؛ لتكتمل أحداث المشهد عندما تضم المشاهد كلها، ولكن لم يرد ذكرالخوف عند استعراض هذا المشهد إلا في موضعين، جاء أولهما صريحا في سورة طه، والثاني مكنيا عنه في سورة الشعراء، وذلك على النحو التالي:

قال تعالى في سورة طه:﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾(طه: ٧٧ – ٧٩).

تتحدث هذه الآيات عن المشهد الأخير بين موسى-عليه السلام- وعدوه فرعون –عليه اللعنة-، إنه الموقف الفاصل بين الحق والباطل بعد هذه الأشواط المتتالية من الصراع بينهما على مر السنين، فتذكر الآيات قصة النجاة لموسى وأتباعه وإغراق فرعون وجنده في أسلوب موجز خلاصته أن الله- تعالى- أوحى لموسى-عليه السلام- بعدما انتصر في مشهد السحرة، وكانوا أول من آمنوا به ولم يبالوا بوعيد فرعون لهم بتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف وتصليبهم في جذوع النخل، وحقا سيفعل فهو الطاغية المتجبر، فيدل المولى- سبحانه- موسى وقومه على طريق النجاة، ويوحي إليه أن يجمع قومه ليلا ويسير بهم في عرض البحر بعد أن يجعل لهم طريقا فيه عندما يضربه بعصاه، وعندئذ سيتبعه فرعون بجنوده فيطبق عليهم البحر فيهلكهم، وينجو موسى ومن معه.

والسياق وإن كان يتحدث عن هلاك ودمار بالنسبة لفرعون وأتباعه فهو في الوقت نفسه إيناس وبث للسكينة في قلب سيدنا موسى-عليه السلام-؛ ولذلك ورد ذكر الخوف هنا منفياً في قوله تعالى: ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾، والمعنى:لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقا من أمامك.

وهذه الجملة تطمين لسيدنا موسى-عليه السلام- بعد أن أصبح بين خطرين داهمين؛ حيث فرعون وجنوده خلفه، والبحر ذو الأمواج العاتية أمامه.

ومن اللافت للنظر هنا التعبير بالخوف في جانب التطمين من إدراك فرعون له﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾، وفي جانب التطمين من الغرق في البحر عُبِّر بالخشية ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾، ولعل ذلك لأن خوفهم من فرعون استدعى حركتهم وهروبهم منه ولجوءهم إلى البحر ليكون الملاذ والمأمن لهم من بطشه وفتكه؛ فناسب ذلك أن يعبر في جانب التطمين من فرعون بالخوف لأن الإنسان إذا خاف من شيء هرب منه، وفي جانب التطمين من البحر عبر بالخشية؛ لأن الإنسان إذا خشي شيئا لجأ إليه واستجار به؛ ألا ترى أن المؤمن يخشى ربه فيلجأ إليه ويستعين به؛ فناسب كل من التعبيرين مقامه.

يقول ابن قيم الجوزية:" الخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

**إحداهما**: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

**والثانية:** سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية"(١).

فكان البحر نجاة لسيدنا موسى وأتباعه في هذا الموقف كما كان نجاة له وهو طفل رضيع.

وتكرار النفي مع الخوف والخشية تأكيد ومبالغة في التطمين؛ فإذا كان- سبحانه- يطلب منه ألا يخاف من فرعون فهو في الوقت نفسه يدله على طريق النجاة ليزيد اطمئنانا.

وقُدم نفي الخوفِ؛" للمسارعة إلى إزاحةما كانوا عليه من الخوف العظيمِ حيث قالوا إنا لمدرَكون"(٢).

وألمح في هذه الجملة نهيا عن طريق الخبر، ويؤيده قراءة حمزة والأعمش (لا تَخَفْ دَرَكا) بجزما لا تخاف على الجزاء، ورفعا (وَلا تَخْشَى) على الاستئناف(٣)، وإيراد النهي في ثوب الخبر أبلغ في الحث على اجتناب المنهي عنه وآكد للمعنى المراد.

وتوجيه الخطاب لسيدنا موسى-عليه السلام- مع أن قومه مشمولون معه؛ لأنه هو قائدهم ورائدهم فإذا ثبت ولم يخف قويت عزيمتهم، وزادت ثقتهم في النصر والغلبة على فرعون وجنوده، يقول الطاهر بن عاشور-رحمه الله- أن هذه

---

(١)- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت/ محمد المعتصم بالله البغدادي (١/ ٥٠٨)، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦ç/ ١٩٩٦م.

(٢)- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٣١).

(٣)- ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٣٤٤).

الجملة" وعد لموسى اقتصر على وعده دون بقية قومه لأنه قدوتهم فإذا لم يخف هو تشجعوا وقوي يقينهم، فهو خبر مراد به البشرى"(١).

ولا شك أن هذا يزيدهم إيمانا ويقينا بما جاء به موسى-عليه السلام-، ويزيدهم صلابة في مواجهة الباطل والثبات على الحق.

وإذا كان الخوف قد ذكر صراحة في هذه الآية عند الحديث عن هذا المشهد، فإنه قد ذكر ضمنا في الحديث عن المشهد نفسه في سورة الشعراء في قوله تعالى:﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾(الشعراء: ٥٢ - ٦٨).

وهذه الآيات تتضمن تفصيلا بعض الشيء عن ما ورد سورة طه التي ذكرناها آنفا.

ويُلمح الخوف هنا من خلال قول أصحاب موسى-عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾؛ فقولهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ كناية عن شدة

(١)- التحرير والتنوير (١٦/ ٢٧٠).

خوفهم من أن يلحقهم هذا الطاغية، وينفذ وعيده فيهم بعدما رأوا هذا الحشد الهائل لجنده واقتفائهم أثرهم.

وقد صورت الكناية شدة خوفهم وهلعهم حين عرضت الدليل على الخوف باديا في قولهم هذا بعدما رأوا هذه الكثرة الكاثرة لفرعون وجنده.

وخوفهم هنا طبعي؛ فالمهلكات محدقة، والشرور محيطة، فالبحر أمامهم، وفرعون وجنده خلفهم، فما الحيلة إذاً؟!، هل يستسلمون لفرعون لينفذ وعيده فيهم ويقطِّعهم إربا كما توعدهم؛ ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه النيْل من كبريائه وادعائه الألوهية، أم يقذفون بأنفسهم في البحر فيموتوا دفعة واحدة دون تعذيب أو تنكيل؟ فخُق لهم أن يخافوا وترتعد فرائصهم حتى يظهر ذلك في قولهم لموسى-عليه السلام-" إنا لمدركون"، مؤكدين ذلك بـ" إنَّ" واللام واسمية الجملة للمبالغة في إثبات تيقنهم من لحاق فرعون وجنده بهم.

وإسناد القول إلى أصحاب موسى دون بني إسرائيل؛" لأنه كان قد آمن كثير من غيرهم"(١)، ومثله التعبير بالمعية في قوله تعالى في آخر الآيات:﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾.

وقد ساعدت أمور كثيرة عرضها السياق قبل ذكر قولهم﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾جعلتهم جديرين بالخوف، منها: أن فرعون أرسل حاشيته في المدائن ليجمعوا القبط من كل مكان﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾، وتحفيزهم وإغرائهم وحشدهم معنويا بقوله﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا

(١)- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٤٣).

﴿لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾، وخروجهم صباحا وقت الإشراق﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ﴾ ولم يخرجوا ليلا كما خرج موسى وأصحابه؛ ليرى أتباع موسى قوتهم وكثرتهم فيستسلموا لهم لينفذوا وعيدهم؛ كذلك التعبير بالرؤية ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾، أي أنهم رأوهم عيانا بيانا بالعين الباصرة، ورأوا ما هم عليه من الكثرة والقوة، والتعبير القرآني ﴿تَرَٰٓءَا ﴾ يصور هذا المشهد الاستعراضي الذي يستعرض فيه كل فريق قوته، فيرى أصحاب موسى هذا الحشد الكبير لفرعون وجنده، فـ" التراءي تفاعل الرؤية من الجانبين، بحيث صار كل واحد منهما يرى الآخر"(١).

هذه كلها بواعث حرَّكت قلوبهم وأفزعت نفوسهم فبدا ذلك في قولهم لموسى-عليه السلام-:﴿ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴾على هذه الدرجة العالية من التأكيد؛ مما استدعى سيدنا موسى-عليه السلام- أن يرد عليهم ردا أقوى وآكد من قولهم لما رأى ما هم عليه من خوف واضطراب ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾، مؤكدا بأداة الردع(كلَّا) وهي تنبئ عن النهي عن الخوف، والمعنى: لا تخافوا، وعقبه بالتعليل﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ وأكد التعليل بـ" إنَّ" وتقديم الجار والمجرور(معي) واسمية الجملة،والتعبير بصفة الربوبية( ربي) والتأكيد بالسين( سيهدين)؛ ليقتلع جذور الخوف من نفوسهم، ويزيدهم ثقة في نصر الله لهم، وسرعان ما يأتي النصر فتُعطف الآية التالية بالفاء﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴾ لتكون في النهاية لهم الغلبة والأمان من الخوف الذي لازم موسى-عليه السلام- طيلة مشوار حياته،

(١)- زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٦١).

فيعيش مطمئنا هو وأصحابه بعدما رأوا عناية الله- تعالى- لهم في كل المواقف التي تعرضوا لها.

وهذا الموقف في نهاية القصة يذكرنا بالموقف الأول في بدايتها حين كلَّمه ربه وكلَّفه بالرسالة قائلا له" إنك من الآمنين" حتى أصبح هو من يثبِّت غيره؛ فقد أصقلته المواقف التي تعرَّض لها فأصبح واثقا مطمئنا بوعد الله- تعالى- موجها غيره إلى الثبات والثقة. والله أعلم.

****

## المبحث العاشر

## الخوف في قصة موسى-عليه السلام- مع بني إسرائيل

**توطئة:**

بعد غرق فرعون وأتباعه ونجاة موسى-عليه السلام- يرجع سيدنا موسى بقومه، ويأخذ معهم جولة في دعوته، ولكنهم يطلبون منه أمورا كثيرة كعادتهم في الجدال والمماراة، ويقصُّ القرآن الكريم مشاهد عدة له-عليه السلام- معهم في مواطن متعددة.

لكن عند مطالعة هذه المواضع يلحظ المتلقي ندرة لفظ الخوف فيها مقارنة بمشاهد قصته مع فرعون التي كانت قائمة على الصراع الذي اقتضى أن يكثر فيها ذكر الخوف، ولم يذكر لفظ الخوف صريحا في قصته مع بني إسرائيل إلا في موضع واحد، وذكر مدلولا عليه في عدة مواضع لعدم وجود ما يستدعيه مثلما هو الحال مع فرعون، وسأتناول هذه المواضع على النحو الآتي:

قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة المائدة:٢٠-٢٦]

تصف هذه الآيات الكريمة موقف بني إسرائيل مع رسولهم موسى- عليه السلام- بعد أن نجاهم الله تعالى وأغرق عدوهم أمامهم، فسرعان ما نقضوا العهد مع نبيهم، فيمرون وهم في طريقهم إلى الأرض المقدسة(١) التي وعدهم الله بها يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم، فيقولون لموسى:" اجعل لنا إلها كما لهم آلهة"، ويتخذ لهم السامريّ عجلا ذهبا له خوار، ويقول لهم إن هذا هو إله موسى الذي ذهب لميقاته، فيرجع موسى-عليه السلام- غضبان أسفا، وغير ذلك من المواقف الكثيرة التي تحدث القرآن الكريم عنها، فيذكرهم موسى بنعم الله الكثيرة عليهم، ويأمرهم بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، ولكنهم تعللوا بالخوف والجبن رغم النصح لهم من رجلين منهم ممن يخافون الله تعالى.

(١)-اختلف في المقصود بالأرض المقدسة:فقال مجاهد: هي الطور وما حوله، وقال الضحاك: إيليا وبيت المقدس، وقال عكرمة والسدي: هي أريحا، وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقال قتادة: هي الشام كلها، قال كعب: وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله في أرضه وبها أكثر عباده.تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/ ٣٤).

وقد ورد الخوف هنا في موضعين:

الأول- قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾وهذه الآية "خبر من الله جل ثناؤه عن جواب قوم موسى-عليه السلام-، إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة: أنهم أبوا عليه إجابته إلى ما أمرهم به من ذلك، واعتلّوا عليه في ذلك بأن قالوا: إن في الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها، قومًا جبارين لا طاقة لنا بحربهم، ولا قوة لنا بهم"(١).

وهذا التعلل منهم يكشف شدة خوفهم وجبنهم، فالآية كناية عن الخوف الشديد الذي لحق بهم عندما أمرهم سيدنا موسى-عليه السلام- بدخول الأرض المقدسة.

وقد أكدوا تعليلهم بـ" إنَّ" واسمية الجملة وتقديم الجار والمجرور" فيها" ووصف القوم بالجبارين، وإيراده على صيغة المبالغة، وتعليقهم الدخول على خروج هؤلاء القوم منها، كل ذلك يدل على خوفهم وفزعهم عند طلب دخولهم هذه الأرض، حتى إنه" قيل: لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: ليتنا متنا بمصر. وقالوا: تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر"(٢).

**والراجح** أنهم لم يتعللوا في هذا الموضع عصيانا، وإنما خوفا من الجبارين بدلالة التعليق على الشرط" فإن يخرجوا منها فإنا داخلون"، يؤيد ذلك ما نقله أبو حيان من قول أكثر المفسرين أنهم:" لم يشكُّوا فيما وعدهم الله به،

(١)- الآية تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٠/ ١٧١).
(٢)- تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٦٢٠).

ولكن كان نكوصهم عن القتال من خور الطبيعة والجبن الذي ركبه الله فيهم، ولا يملك ذلك إلا من عصمه الله"(١).

ومما حدا بهم إلى هذا الخوف الشديد ما كان من خبر الجبارين أنهم" كانوا أهل قوة فلما بعث «موسى» الاثني عشر نقيبا مطلعين على أمر الجبارين وأحوالهم رأوا لهم قوة وبطشا، وتخيلوا أن لا طاقة لهم بهم فجاؤوا إلى بني إسرائيل ونقضوا العهد في أن أخبروهم بحال الجبارين حسبما قدمناه في ذكر بعث النقباء، ولم يف منهم إلا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا، ثم إن بني إسرائيل ركعوا وجبنوا وقالوا: كوننا عبيدا للقبط أسهل من قتال هؤلاء، وهم كثير منهم أن يقدموا رجلا على أنفسهم ويصير بهم إلى أرض مصر مرتدين على الأعقاب، ونسوا أن الله تعالى إذا أيد الضعيف غلب القوي وأخبروا «موسى» أنهم لن يدخلوا الأرض ما دام الجبارون فيها، وطلبوا منه أن يخرج الله الجبارين بجند من عنده وحينئذ يدخل بنو إسرائيل"(٢).

الثاني- قوله تعالى:﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

" قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله- عز ذكره- عن قول الرجلين اللذين يخافان الله لبني إسرائيل، إذ جبُنوا وخافوا من الدخول على الجبارين، لمَّا سمعوا خبرهم، وأخبرهم النقباء الذين أفشَوْا ما عاينوا من أمرهم فيهم، وقالوا:﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا ﴾، فقالا لهم:

(١)- البحر المحيط في التفسير (٤/ ٢١٨).

(٢)-تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٧٤).

ادخلوا عليهم، أيها القوم بابَ مدينتهم، فإن الله معكم،وهو ناصركم، وإنكم إذا دخلتم الباب غلبتموهم"(١).

وذكر الماوردي أن التعبير بالخوف " يخافون" في قوله تعالى:﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يخافون الله ، وهو قول قتادة. الثاني: يخافون الجبارين ، ولم يمنعهم خوفهم من قول الحق. ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾فيه تأويلان: أحدهما: بالتوفيق للطاعة. والثاني: بالإسلام ، وهو قول الحسن. وفي هذين الرجلين قولان: أحدهما: أنهما من النقباء يوشع بن نون ، وكالب بن يوقنا ، وهذا قول ابن عابس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي. والثاني: أنهما رجلان ، كانا في مدينة الجبارين أنعم الله عليهما بالإسلام ، وهذا مروي عن ابن عباس"(٢).

وذكر البغوي أن المعنى:" يخافون الله تعالى، قرأ سعيد بن جبير يخافون بضم الياء، وقال: الرجلان كانا من الجبارين فأسلما واتبعا موسى، أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة"(٣).

وأيا ما كان المعنى فلم يمنعهم خوفهم من قول الحق في هذا الموقف، واثقين بوعد الله- تعالى- بالغلبة والظفر، ولذلك استعملوا إذا في الشرط وهي لا تكون إلا لمتحقق الوقوع والتعبير بالماضي﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ ﴾ مكان المضارع، وتأكيد الجواب ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ ﴾، كل هذا أكد خوفهم من الله

(١)- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٠/ ١٨٢).
(٢)- تفسير الماوردي = النكت والعيون (٢/ ٢٦).
(٣)- تفسير البغوي - إحياء التراث (٢/ ٣٤).

تعالى، وثقتهم بوعده، ولا يخفى ما فيه من تعريض بغير هذين الرجلين من النقباء وأنهم لا يخافون الله- تعالى-، فمن رحمة الله- تعالى- أنه لا يجتث الخير اجتثاثا من الشر، وإنما يبقى فيه جانبا من الخير؛ ليظل الخير والشر في صراع دائم؛ يبرز كل منهما وجه الآخر.

يقول الإمام الشعراوي-رحمه الله-: "وهل الأمم التي تخطو إلى الشر وتمارسه يمتنع فيها وجود عناصر الخير؟. لا؛ لأن الحق يبقي بعضاً من عناصر الخير حتى لا ينطمس الخير، وهذا ما يوضحه الحق في بني إسرائيل عندما قالوا لموسى هذا القول، فقد خالفهم رجلان منهم: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾(١)، وهذا من رحمة الله- تعالى- بالبشر.

وبهذا كان الخوف في الموضعين موجِّها ومحرِّضا على الفعل وعكسه؛ ففي الموضع الأول كان الخوف من الهلاك مانعا لبني إسرائيل من دخول هذه الأرض، وفي الموضع الثاني كان الخوف من الله دافعا للرجلين إلى نصح بني إسرائيل بعدم الخوف، وإرشادهم إلى الثقة في وعد الله- سبحانه-؛ ولذلك استحقوا وصف الرجولة؛ مما يبرز دور الخوف في هذا المشهد، ويظهر أثره.

ومما جاء فيه الخوف معبَّراً عنه بلفظ الرهبة في قصة موسى مع قومه قوله تعالى:"﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١)- تفسير الشعراوي (٥/ ٣٠٥٩).

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٨ - ١٥٤).

لقد عاد موسى -عليه السلام- إلى قومه بعد خروجه لميقات ربه فوجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب، فغضب غضبا شديدا، وعنفهم على ذلك وأخذ برأس أخيه هارون لائما له؛ لأنه كان قد اتخذه خليفة له في قومه، لكن هارون يبين له قسوتهم معه، ومحاولتهم قتله، ويستعطفه ألا يشمت به أعداءه فهو ليس معهم في كفرهم؛ فيهدأ موسى ويأخذ الألواح التي جاء بها من عند ربه قاصدا بها الفئة التي تخاف الله وتخشاه من قومه.

وقد جاء الخوف هنا في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ والمعنى: للذين يخافون الله ويخشون عقابَه على معاصيه؛ لأنهم الذين تتفتح قلوبهم للهدى، وتستجيب لنداء المولى سبحانه.

أي:" إن الهدى والرحمة للذين هم يخافون الله تعالى ويرهبون عذابه، فإنه مع رهبة رب العالمين يكون الاتعاظ والازدجار، والانتفاع بالهداية، وتلقي الرحمة، واستحقاقها"(١).

وأكدت جملة ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ بعدة مؤكدات: أولها ضمير الفصل (هُمْ) وثانيها: تقديم (لِرَبِّهِمْ)،أي: أنهم لا يرهبون إلا ربهم، ولا يخافون غيره، وثالثها: في قوله (لِرَبِّهِمْ) فاللام هنا تفيد زيادة الرهبة، إذ إن (يَرْهَبُونَ) تتعدى بنفسها دون اللام، فذكر اللام لتقوية التعدي أي لتقوية الرهبة، وهكذا لَا ينتفع بما اشتملت عليه من الهداية إلى الطريق، والرحمة بالانتفاع بنظمها إلا هؤلاء، لأن هذه الرحمة لَا ينتفع بها إلا الذين يخافون الله تعالى ويرجون ثوابه ويخافون عذابه فيكونون منه دائما على حذر، فينجون.ففيه تأكيد لرهبتهم لله بعدة مؤكدات.

ولا يخفى ما في إيثار التعبير بالرهبة بدلا من الخوف من زيادة في المعنى كما ذكرنا سابقا حيث تجعل الخوف يشملهم ظاهرا وباطنا،مما جعلهم أهلا للهدى والرحمة التي اشتملت عليها ألواح التوراة.

وكما عُبِّر عن الخوف بلفظ الرهبة هنا عُبِّر عنه بلفظ الخشية أيضا في القصة نفسها مع السامري في سورة طه حيث قوله تعالى:﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۖ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا

(١)- زهرة التفاسير (٦/ ٢٩٦٢).

جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ (طه: ٨٦ - ٩٤).

والآيات الكريمة تبين أيضا غضب موسى -عليه السلام- بعد رجوعه كما في الموضع السابق، وإلقائه باللائمة على أخيه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان ممن لم يعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرّقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، ولم تنتظرني.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، معناه: خفتك أن تتهمني بالتفرقة بينهم حين تأخذ بعضهم وتترك الآخر.

وهذا جواب هارون عن قول موسى لائماومؤنّبا: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾.

ولعل إيثار التعبير بلفظ الخشية هنا مناسب لما عليه هارون -ُ- من معرفة بالله تعالى، فهو على الرغم من تصريحه بالخشية من قول موسى بالتفرقة، فهذا لا ينفي أيضا مراقبته لله تعالى في شأنهم، فلم يكن دافعه قول موسى فقط وإنما الخوف من الله أيضا فاجتهد وفعل ما رآه الصواب في نظره، مراعيا ربه أولا ثم لوم موسى ثانيا، فالمعنى:" إني لم أعنف معهم، ولم ألحق بك بل أخذتهم بالرفق خشية أن يتفرقوا، وخشيت أن تقول لي

إني أوقعت فرقة بينهم، وفي الفرقة يكون التلافي والمقاومة، فيقاوم كل فريق الآخر في قوله، فتكون المجادلة، ثم المحادَّة، ويضل فريق، ويهتدي فريق، وإنهم بلا شك قد انقسموا: فريق ضل، وفريق هداه الله، فلو قاومت الضالين، لكانت الحدة والمنازعة والمهاترة، فتركتهم حتى تجيء أنت من لقاء الله تعالى، فيكون معك نوره، فتكون الهداية.

وخشيت أن تقول ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾أي لم تلاحظ قولي اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، وإنه بلا ريب لو تفرقوا وكنت سببا في هذا التفرق لكنت من المفسدين، فالتفرق في ذاته فساد وضلال، وإذا كانوا قد ضل بعضهم فهدايته ممكنة وعودته إلى الحق قريبة، ولكن عند التفرق يكون التعصُّب، وتكونالفتنة بينهم في جموعهم، وهي تزيد فتنة العبادة حدَّة، فلا يمكن حينئذٍ أن يجتمعوا، إذ تتسع هوَّة الافتراق"(١)، فهارون-ُ-" قد اجتهد حَسْب رؤيته للموقف، ونأى بالقوم عن معركة ربما انتهتْ بالقضاء على خِلِية الإيمان في بني إسرائيل، اجتهد في إطار ﴿وَأَصْلِحْ﴾[الأعراف: ١٤٢]"(٢) .

وإذا كانت الآيات في الموضع السابق ذكرت خوف بعض بني إسرائيل ممن هم أهل للهدى والرحمة التي اشتملت عليها الألواح، فهذه الآيات تركز على جانب الخوف عند هارون-ُ- في اعتذاره لموسى-ُ-، فعلى الرغم من أن القصة واحدة إلا أن كل مشهد يركز على جانب غير الذي يركز عليه الجانب الآخر، مما يبعد شائبة التكرار عن القصص القرآني. والله أعلم.

(١)- زهرة التفاسير (٩/ ٤٧٧٨).

(٢)- تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٣٦٦).

## الخـــــاتمة

**من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يأتي:**

١- وردذكر الخوف في قصة سيدنا موسى-عليه السلام - في الذكر الحكيم بصورة لافتة للنظر، وكان سمة بارزة في كل حلقاتها، سواء على سبيل التصريح أو الكناية؛ نظرا لكثرة المحن والشدائد التي تعرض لها-عليه السلام -؛ فقد ذكر الخوف في حوالي(٣٧) موضعا تقريبا في القصة، وورد صريحا بلفظ الخوف في حوالي(٢٦) موضعا، منها (١٦) موضعا متعلقة بسيدنا موسى-عليه السلام -، وموضعان متعلقان به وبهارون- عليهما السلام-، وموضعان متعلقان بأم موسى، وموضع واحد متعلق بفرعون- عليه اللعنة-، وموضع واحد متعلق بأتباعه، وموضعان متعلقان بمؤمن آل فرعون، وموضعان متعلقان بأتباع موسى-عليه السلام -، كما ذكر لفظ الخوف مدلولا عليه في حوالي( ١١) موضعا، منها(٦) مواضع متعلقة بموسى-عليه السلام -، وموضع واحد يتعلق بأمه، وموضعان يتعلقان بأتباعه؛ مما يدل على كثرة الشدائد التي تعرَّض لها سيدنا موسى-عليه السلام-، ويُظهر أيضا ابتلاء كل أطراف القصة بالخوف؛ ليدلنا على الصراع القائم في كل مشاهد القصة من بدايتها إلى نهايتها؛ وهذا لا شك يظهر قدر المعاناة التي لا قاها سيدنا موسى-عليه السلام - مع الطاغية فرعون؛ وفي هذا زيادة تثبيت لقلب النبي محمد-ﷺ-.

٢- كانت جل المواضع التي ذكر فيها الخوف في قصة سيدنا موسى-ﷺ- مع فرعون(٣٣) موضعا، وفي قصته مع بني إسرائيل حوالي(٤) مواضع فقط؛ ولعل هذا لأن قصته مع فرعون قصة كفاح وصراع بين الحق ممثلا

في سيدنا موسى-عليه السلام -، وبين الباطل ممثلا في أكبر طاغية عرفها التاريخ البشري ( فرعون)- عليه اللعنة_ فاقتضى ذلك أن يكثر فيها ذكر الخوف.

٣- تكرر كذلك ذكر المشهد الواحد في القصة في أكثر من موضع، وناسب كل مشهد سياقه ومقامه.

٤- على الرغم من أن كل أطراف القصة عرض لهم الخوف إلا أن خوف سيدنا موسى-عليه السلام - في كل المشاهد التي كانت بعد الوحي والتكليف بالرسالة كان مختلفا عن خوف باقي الأطراف؛ حيث لم يكن خوفا على نفسه، وإنما كان خوفا على ألا تصل دعوة الله إلى من يريد- سبحانه- على الوجه الأكمل.

٥- يلاحظ أنه في كل موضع ورد فيه خوف سيدنا موسى أو أمه أو أتباعه كان يعقبه مباشرة التطمين والنهي عن الخوف، ولا يكتفى بمجرد النهي عن الخوف، وإنما كان يتبع بالتعليل لهذا النهي؛ مبالغة في التطمين والإيناس، وقد اتضح ذلك خلال البحث.

٦- اطَّرد في تعليل النهي عن الخوف في القصة تأكيد النهي عن الخوف بمؤكدات عدة كان من أبرزها وأكثرها وروداً" إنَّ" التوكيدية، وهو توكيد فوق توكيد للمبالغة في تطمين سيدنا موسى-عليه السلام - في هذه المواقف العصيبة.

٧- اعتمدت القصة أسلوب الحكاية؛ فكان أسلوب السرد القصصي هو المسيطر على معظم أحداثها، وكان من لوازمه الأسلوب الخبري المناسب للقصص.

٨- انتشر في القصة الفصل للاستئناف البياني بصورة لا فتة للنظر؛ وذلك لأن سرد أحداث القصة يثير تساؤلات كثيرة، وهذه التساؤلات واضحة ظاهرة؛ فلم تكن حاجة إلى إبرازها، وكانت تأتي الإجابة عليها مباشرة.

٩- كثر في القصة التعبير بالفعل الماضي المناسب أيضا لأسلوب القصص الذي يحكي قصصا مضت وتحققت.

١٠- برز في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- الإيجاز بحذف الجمل كثيرا وهذا شأن القصص القرآني عامة، تُعرض الأحداث عرضا مجملا، ويُركز على أهم التفاصيل وتُحذف بعض الجمل، والجمل المحذوفة في القصص عامة تكون معروفة فلا فائدة من ذكرها حتى لا تطول القصة وتتوه أحداثها، وتخلو من الحبكة التي تجذب السامع وتجعله يتابع عن كثب أحداثها.

١١- كثر في القصة العطف بالفاء؛ للدلالة على التتابع والسرعة في الأحداث، وقد بدا ذلك واضحا خلال البحث.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

*****

ض

## قائمة المصادر والمراجع

١- **إعراب القرآن وبيانه** محيي الدين الدرويش، نشر/ دار الإرشاد للشئون الجامعية-حمص-سورية، دار اليمامة- دمشق- بيروت ط٤، ١٤١٥ هـ.

٢- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي**، ت/محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر/دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١ ،١٤١٨ هـ.

٣- **البحر المحيط** لأبي حيان، ت/ صدقي محمد جميل، نشر/ دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤- **التحرير والتنوير** للطاهر بن عاشور، نشر/ الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٥- **التعريفات للجرجاني**، نشر/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٣م.تفسير الشعراوي، نشر/ مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٦- **تفسير القرآن** السمعاني، ت/ ياسر غنيم، نشر/ دار الوطن، الرياض- السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧- **تفسير القرآن** العز بن عبد السلام، ت/د/ عبد الله الوهبي، نشر/ دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨- **تفسير المنار** محمد رشيد رضا، نشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٩- **جامع البيان في تأويل القرآن الطبري**، ت/ أحمد محمد شاكر، نشر/ مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠-**الجامع لأحكام القرآن** القرطبي، ت/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر/ دار الكتب العلمية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ه/ ١٩٦٤م.

١١-**حاشية الطيبي على الكشاف**، ت/د/ جميل بني عطا، نشر/ جائزة دبي الولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤ ه/ ٢٠١٣م.

١٢-**الدر المصون** السمين الحلبي، ت/ د/ أحمد محمد الخراط، نشر/ دار القلم- دمشق.

١٣-**دلائل الإعجاز** ت شاكر، مطبعة المدني- القاهرة، ط٣، ١٤١٣ ه/ ١٩٩٢م.

١٤-**زهرة التفاسير** أبي زهرة، نشر/ دار الفكر العربي.

١٥-**شروح التلخيص**، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط١، ١٣٢٣ ه.

١٦-**صحيح مسلم** النيسابوري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر/ دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٧-**الطراز** للعلوي، دار الكتب العلمية- بيروت.

١٨-**عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** للسمين الحلبي، ت/ محمد باسل عيون السود، نشر/ دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ ه/ ١٩٩٦م.

١٩-**فتح القدير** للشوكاني، نشر/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٤ه.

٢٠-**الفروق اللغوية** لأبي هلال العسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم، نشر/ دار العلم والثقافة، القاهرة- مصر.

٢١-**القاموس المحيط** للفيروزآبادي، ت/ مكتب تحقيق التراث-مؤسسة الرسالة، نشر/ مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،ط٨، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٢-**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** الزمخشري، نشر/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٣-**لسان العرب** لابن منظور، نشر/ دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٤-**لطائف الإشارات** القشيري، ت/ إبراهيم البسيوني، نشر/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.

٢٥-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر/ دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٦-**مدارج السالكين** محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٧-**معالم التنزيل في تفسير القرآن** البغوي، ت/ عبد الرازق المهدي، نشر/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٨-**مفاتيح الغيب** للرازي، نشر/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٩-**المفردات في غريب القرآن** للراغب الأصبهاني، ت/ صفوان عدنان الداودي، نشر/ دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢م.

٣٠-**ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل** الغرناطي، نشر/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٣١-**من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم** ( الفاء، وثم) د/ محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة.

٣٢-**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** البقاعي، نشر/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٣-**النكت والعيون** الماوردي، ت/ السيد عبد المقصود عبد الرحيم، نشر/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

**********